# تفسير سور

## ق - القيامة - النبأ - الانشقاق
## الطارق

تأليف
نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي
المتوفى سنة ٧١٦ هـ

تحقيق
الدكتور علي حسين البواب

مكتبة
التوبة

# تفسير سور

ق - القيامة - النبأ - الانشقاق

الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم



# تفسير سور

## ق - القيامة - النبأ - الانشقاق
## الطارق

تأليف

نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي
المتوفى سنة ٧١٦هـ

تحقيق

الدكتور علي حسين البواب

مكتبة
التوبة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



الرياض - شارع جرير - ص.ب. ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ - فاكس ٤٧٩٠٤٤٣ - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،

فقد عُني المسلمون بالقرآن الكريم منذ نزَّله الله تعالى عليهم، وكان تفسير القرآن الكريم، أو بعض سورة واحداً من أعمالهم الكثيرة في خدمة كتاب الله تعالى، وتيسير فهمه.

ونقدِّم في هذه الصفحات لكتاب تناول تفسير بعض سور القرآن الكريم.

**ومؤلف الكتاب**[1]: هو سليمان بن عبدالقويّ بن عبدالكريم، الطوفي، الصرصري، نجم الدين.

---

(١) للطوفي ترجمة في عدد من المصادر، منها: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/٣٦٦، والدرر الكامنة ٢/٢٤٩. وعني المحدثون ممن كتب عن الطوفي أو حقق بعض كتبه بالحديث عنه، وأوسع ما كتب عنه وأحسنه: المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي للدكتور مصطفى زيد. ينظر ٦٥ - ١١٠. ومقدمة تحقيق شرح مختصر الروضة للدكتور إبراهيم بن عبدالله آل إبراهيم ينظر ١٧ - ٥٢، ٧٥ - ١٤٠، ومقدمة تحقيق الكتاب نفسه للدكتور عبدالله التركي ٢١ - ٣٨.

ولد في طُوفى - من أعمال صَرْصَر - بعد سنة سبعين وستمائة، وتلقّى فيها العلوم والمعارف، وتردّد على صرصر - وهي على بعد فرسخين من بغداد، فتلقّى العلم على شيوخها، ثم ارتحل إلى بغداد سنة إحدى وتسعين وستمائة، آخذاً ومفيداً من علماء العصر فيها، فحفظ «المحرر» في الفقه الحنبلي لمجد الدين بن تيمية، وتعلّم العربية والفرائض والمنطق، وسافر إلى دمشق سنة أربع وسبعمائة، فالتقى بشيوخها، ومنهم الإمام تقي الدين بن تيمية، وانتقل إلى مصر سنة خمس، فأقام بها مدّة، تلقّى على علمائها، وفيها نال مكانة، وذاع صيته بين أئمة الحنابلة، وهناك ألف عدداً من الكتب، وحدَثت له فتنة، وسجن، فغادر القاهرة إلى دمياط، ثم إلى قُوص - في الصعيد - حيث أقام فترة، ثم غادرها إلى مكة المكرمة حاجاً عام أربعة عشر، وزار المدينة المنورة، ثم حج ثانية في العام التالي، وارتحل بعدها إلى بيت المقدس، فمدينة الخليل عليه السلام، وفيها وافته المنية سنة ست عشرة وسبعمائة.

أخذ الطوفي في رحلاته عن عدد كبير من علماء الأمصار من الفقهاء والأصوليين والمحدّثين واللغويين والنحويين وغيرهم. وممن تلمذ لهم[1]: علي بن محمد الصرصري، وعبدالله بن محمد الزريراتي، ومحمد بن الحسين الموصلي، وإسماعيل بن علي بن الطبال، وأبو بكر أحمد بن علي القلانسي، وتقي الدين بن تيمية،

---

(١) ذكر الدكتور إبراهيم بن عبدالله في مقدمة تحقيقه لشرح مختصر الروضة ٤١ - ٤٧ تسعة عشر شيخاً من شيوخ الطوفي، وترجم لهم. وينظر مقدمة الدكتور عبدالله التركي ٢٢ - ٢٤.

ومحمد بن أبي الفتح البعلي، ويوسف بن عبدالرحمٰن المزّي، وعبدالمؤمن بن خلف الدمياطي، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي وغيرهم.

وتولّى الطوفي التدريس، ونال مكانة في عصره، ووصفه العلماء بالفضل، والمشاركة في العلوم، وسعة المعرفة، وشدّة الذكاء، وقوّة الحافظة، وكثرة العبادة، والتقلّل من الدنيا.

وألّف الطوفي عدداً من الكتب في علوم مختلفة، منها[1]: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ـ الإكسير في قواعد التفسير ـ الانتصارات الإسلامية ـ البلبل في أصول الفقه ـ تفسير بعض سور القرآن الكريم ـ جدل القرآن ـ حلال العقد في أحكام المعتقد ـ درء القول القبيح ـ شرح الأربعين النووية ـ الشعار المختار على الأشعار ـ الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية ـ مختصر روضة الناظر ـ موائد الحيس في فوائد امرىء القيس ـ وغيرها.

رُمي الطوفي بالتشيع، بل بالرفض، ونقل ذلك بعض من ترجم له، وكان أكثر من تعرّض له وحمل عليه ابن رجب في «الذيل»، فقد جرّحه، وكال له التهم، وذكر بعض الأدلة على ذلك.

واجتهد المحدثون ممّن درسوا مؤلفات الطوفي أو كتبوا عنه

(١) في مقدمة الدكتور إبراهيم عبدالله ١٠٢ ـ ١٠٤ ذكر لمؤلفات الطوفي، ثم حديث مفصل عن الموجود منها. وينظر المصلحة ٩١ ـ ١١٠، ومقدّمة الدكتور عبدالله التركي ٢٤ ـ ٣٢.

في ردّ هذه الشبهة، وتحدّثوا عن سببها، وأن الطوفي تكلّم عند شيخه سعد الدين الحارثي في القاهرة بكلامٍ عدّه الشيخ تطاولاً، فأوكل شمس الدين ابن الشيخ أمر الطوفي إلى الشرط، واتهموه بالتشيع، فحُبس وعُزّر، وطيف به في شوارع القاهرة.

وقد قدّم الدكتور مصطفى زيد، والدكتور إبراهيم بن عبدالله أدلّة كثيرة واضحة تدلّ على أنه براء من هذه التهمة، وأنه حنبلي النشأة والثقافة، وإنه لم يُعرف عنه منذ كان في بلده، إلى أن دخل بغداد ودمشق والقاهرة شيء غير ذلك، وأن أقواله ونصوصه في مؤلّفاته تبيّن بوضوح أنّه لا علاقة له بالتشيّع والرفض، بل إن فقهه الحنبلي، وعنايته بكتب المحدّثين من أهل السنّة تدلّ على عكس ذلك، وفي مؤلّفاته مناقشات واعتراضات وردود على الشيعة، واعتراض على أصولهم، وأن ما نُسب إليه ليس إلّا دسيسة ومكيدة، وقد حيكت لعدد من العلماء قبله، بل لم ينج منها شيخه ابن تيمية[1].

* * *

## تفسير سور من القرآن الكريم:

كانت عناية الطوفي بالقرآن الكريم وتفسيره واضحة في مؤلفاته، منها الإكسير في علم التفسير، وإيضاح البيان عن معنى أم القرآن[2]، وهذه السور التي نقدّم لها.

---

(١) ينظر المصلحة العامة ٧٤ ـ ٨٨، وشرح مختصر الروضة ٨٢ ـ ٩٧ وينظر أيضاً رأي الدكتور عبدالله التركي ٣٣ ـ ٣٧ من المقدمة.

(٢) وهو تحت الطبع التحقيقي.

وفي تفسير المؤلف لسور ق، والقيامة، والنبأ، والانشقاق، والطارق التي جمعناها في هذا الكتاب نلحظ عليه بعض الملحوظات، منها:

أن المؤلّف لم يقتصر على توضيح معاني الكلمات والعبارات والمعاني العامة للآيات، بل إن عنايته بهذا الجانب يسيرة، ولكنه يعنى باستخلاص الأحكام والفوائد والعبر من الآيات والسور، فهو من خلال التفسير يبحث عن الأدلّة على توحيد الله تعالى، وعلى قدرته سبحانه، وعن أحكام اليوم الآخر، والبعث، ويبيّن ما في الآيات من ذلك، كما يظهر تبكيت الله عزّ وجلّ لمنكري البعث، ودحض حججهم، وغير ذلك من الفوائد.

والمؤلف يعرض للقضايا الإعرابية والتركيبية في الآيات، ولقضايا البلاغة، ومسائل الاشتقاق. كما أنّه في تفسير الآيات، والحديث عن بعض الأحكام يستشهد بالآيات القرآنية، فهو يفسّر القرآن بالقرآن.

## مخطوطة الكتاب:

ويوجد المخطوط الذي يجمع رسائل الطوفي هذه وغيرها في مكتبة برلين الوطنية، وكلّ رسالة منه تحمل رقماً خاصاً، جرياً على النظام الذي عمله «الورد» مفهرس المكتبة، إذ جعل لكل كتاب في مجموع رقماً. وهذا المجموع يحوي الرسائل التي حقّقتها، ورسائل أخر للطوفي.

كتب المجموع بخط نسخي واضح كبير، وناسخه محمد بن عبدالوهاب بن محمد، الأنصاري، الحنبلي، نقله عن نسخة بخط

المصنف، أتم الطوفي التفسير في القاهرة سنة ٧١١ هـ، والنسخة فيما يبدو ترجع إلى القرن التاسع العشري تقديراً. وقد قوبلت النسخة على الأصل، وأثبت على حواشيها بعض التصويبات والتوضيحات لعدد من الكلمات، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة تسعة عشر.

وقد كتب اسم المؤلّف في أول وآخر عدد من هذه الرسائل، ولم يشر بروكلمان إلى غير هذه النسخة[1]، كما لم يعرف المهتمون بالطوفي غيرها.

ورُتّبت السور المفسّرة هنا في المجموع على النحو التالي:

**سورة ق**: وهي في أربع عشرة ورقة، من ٣٤ ـ ٤٧، ورقمها في المكتبة ٩٥٦. وكتب اسم المؤلف في أولها وآخرها. وفي آخرها نقل عن شرح العيني ـ المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ـ على البخاري.

**سورة الطارق**: من السطر الثالث عشر في ق ٥٧ ب إلى السطر الخامس من ق ٦٠ أ.

**سورة الانشقاق**: من السطر السادس في ق ٦٠ أ إلى ق ٦٢ ب حيث لم تكمل الصفحة، وهذه والتي قبلها تحت الرقم، وجعلتا في الفهرس تابعتين لإيضاح البيان، للمؤلف نفسه.

**سورة القيامة**: من ق ٧٧ ب ـ الأسطر الثلاثة الأخيرة ـ إلى السطر الرابع من ق ٨٣ أ، وهي تحمل الرقم ٩٦٢.

---

(١) تاريخ الأدب العربي ١٠٨/٢.

سورة النبأ: من ق ٨٣ أ ـ بعد الانشقاق ـ إلى آخر ق ٨٧ أ، ورقمها ٩٦٤. وكتب اسم المؤلف في آخرها.

* * *

## عملي في التحقيق:

وكان ممّا عملته في تحقيق النص:

تخريج الآيات القرآنية، والقراءات، والأحاديث، والشعر، وغيرها، والتعليق على ما يحتاج إلى ذلك، وتوضيح بعض المسائل، والإحالة على المصادر لمزيد من التوضيح، وتصويب الأخطاء الواضحة، وتكملة ما يلزم.

وقد ميزت بخط أكبر الآيات المفسّرة في السور، وكتبت رقم الآية بين معقوفين بعدها، وأكملت في الحاشية الآيات التي لم يكملها المؤلف منها. أما الآيات التي استشهد بها المؤلف على السور المفسرة، فكتبت اسم السورة ورقم الآية في الحاشية.

ورتبت السور الخمس التي جمعتها في هذا الكتاب على ترتيب المصحف: ق، القيامة، النبأ، الانشقاق، الطارق، ولم ألتزم بترتيبها في المخطوطة.

وبعد،

فإني أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يثيبنا عليه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرياض
٢٢/١١/١٤١١ هـ
٦/٦/١٩٩١ م

ط علم جليل
1712 اصول

مجموع فيه عدة مؤلفات للشيخ نجم الدين سليمان
ابن عبد القوي الطوفي البغدادي الحنبلي تغمده الله برحمته

وقع له على عبده
أحمد النجار الحنبلي

الحمد لله
ملكه من فضل الله تعالى
محمد بن أبي بكر [illegible]
الحنبلي غفر الله له [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

قال العلامه نجم الدين سليمان ابن عبد القوى الصرصرى البغدادى الحنبلى

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ثم لنختم هذا الاملا بتفسير سوره ق لما اشتملت عليه من المطالب العاليه قوله عز وجل ق اختلف فيه فقيل هو جبل محيط بالارض من جوهر ازرق وان شعاعه يقع على السماء فمنه زرقتها وقيل الاشارة به الى قدرة الله عز وجل لانه حرف منها كما قال ابن عباس في كهيعص ان الكاف من كافي والهاء من هاد والياء من عليم والعين من عزيز والصاد من صادق ويحتمل ان يكون قاف امرا ثم فيه وجهان احدهما من الوقوف كقول الراجز قلنا لها قفي لنا قالت قاف اي وقفت وكما استعمل قاف في وقفت فكذا يستعمل في قف فيكون المعنى قف للكفار فسترى عاقبتهم الثاني انه امر من المقافاه كما قيل في صاد بكسر الصاد انه من المصاداه فيكون المعنى قاف الكفار اي اعرض عنهم وولهم قفاك كما اعرض عنهم فسيكفيكهم ويكون على هذا من ايات الاعراض المنسوخه او المحكمة بمعنى التهديد قوله عز وجل والقران المجيد قسم بالقران والمجيد قد سبق انه فعيل من المجد وهو الشرف

قوله عز وجل

أول سورة ق

الصوت من الناس ويكون المراد من يخاف وعيد المؤمنين مثل
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هذا آخر ما اردناه من تفسير هذه
السورة الكريمة وقد اشتملت على مطالب شريفة كالدليل على التوحيد
وعلى البعث وعلى احكام اليوم الآخر بضرب من التفصيل واشباه
ذلك مما ذكرناه املاه العبد الفقير الى الله عز وجل سليمان
ابن عبد القوي البغدادي عشية الاحد سابع عشر رجب الفرد
بسجن رحبة باب العيد من القاهرة سنة احد عشر وسبعمية
حامدا لله عز وجل مصليا على رسوله عليه السلام نقلته من خط مولفه
المذكور افقر عباد الله واحوجهم اليه محمد غفر الله له ولوالديه ولمن
نظر فيه ودعا لهم بالرحمة والمغفرة ولجميع المسلمين امين امين امين

[illegible]

قال العسقلاني في شرح البخاري ان اليهود الذين سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وسؤالهم
عن الروح بقولهم ما الروح مشكل اذ لا نعلم مرادهم لان الروح جاء في القران
على معان قال الله تعالى نزل به الروح الامين وقال تنزل الملائكة والروح فيها
وقال وروحا من امرنا يوم يقوم الروح والملائكة صفا فلو عينوا سؤالهم لامكنه ان يجيبهم
قال ويمكن ان يكون سؤالهم عن روح بني ادم لانه مذكور في التوراة انه لا يعلمه الا الله
وقالت اليهود ان فسر الروح فليس بنبي فلذلك لم يجبهم قال عياض وغيره اختلف
المفسرون في الروح المسؤول عنها فقيل سالوه عن عيسى عليه السلام فقال لهم الروح من
امر الله يعني انما هو شيء من امر الله لا كما تقول النصارى وكان ابن عباس يكتمه
الروح وعن ابن عباس وعلي هو ملك من الملائكة يقوم صفا وتقوم الملائكة صفا قال
تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا وقيل جبريل وقيل القران لقوله تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا وقال ابو صالح هم خلق كخلق بني ادم لهم ايد وارجل وقيل طائفة من
الملائكة لا ينزل ملك من السماء الا نزل معه احدهم وقيل ملك له احد عشر الف جناح
والف وجه يسبح الله تعالى الى يوم القيامة اهـ

ليسوا ببني ادم

آخر سورة ق

فيها السموات والارض ستة وما وجد من ذلك السبعه السماوات سبع الارضون سبع ومن الارض مثلهن والكواكب الخمسه مع النيرين سبعه وايام الاسبوع سبعه وما وجد من ذلك الثمانيه حملة العرش يوم القيامة ثمانيه ابواب الجنه ثمانيه السموات السبع والعرش ثمانيه الايام النحسات ثمانيه وما وجد من ذلك التسعـــه قد سبق فيها تسع ايات وتسعة رهط والافلاك على راي بعضهم تسعه والسماوات مع العرش والكرسي تسعه العشره خاصه اصحاب النبي عليه السلام عشره الحادي عشر كواكب يوسف احد عشر الاثنى عشر البروج اثنا عشر ساعات الليل والنهار اثنا عشر اثنا عشر نقباء بني اسرائيل اثنا عشر ائمه اهل البيت عند الشيعه اثنا عشر والله عز وجل اعلم بالصواب

قال الشيخ الامام العلامه سليمان بن عبد القوي البغدادي الحنبلي رحمه الله تعالى الحمد لله رب العالمين نذكر في هذا الاملا تفسير سورة القيامه قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيامه قد تكررت

هذه الصيغ

أول سورة القيامة

ان من ختم هذه السوره استحب له ان يقول اللهم بلى انك
قادر على ان يحي الموتى انتهى الاملا على هذه السوره وقد تضمنت
مطلب اثبات المعاد والبرهان عليه ورويه الله عز وجل
وغير ذلك مما وقعت الاشارة اليه والله اعلم بالصواب

الاملا على سوره عم يتسالون عم اصله عما اي عن اي شي يتسالون
يعني الكفار فانهم كان يسال بعضهم بعضا ما هذا الذي اتى
به محمد اهو سحر ام جنون وهم الذين جعلوا القران عضين اي
قسموه اقساما وعضوه اعضا وسقطت الالف من عما
كنظايرها فيم ولم ومم وعلام والام وحتام عن النبا العظيم
كلام مستانف اي يتسالون عن النبا العظيم وهو القران
والنبا الخبر والقران اخبار باموره عظيمه فل هو نبا عظيم الذي
هم فيه مختلفون كل منهم يقول فيه شيا كما سبق قوله كلا
سيعلمون هي اما بمعنى حقا كما قال بعضهم او انها زجر لهم عن التسال
عن القران اي لا يتسالوا عنه فان امره اظهر من ان يسال عنه
ثم كلا سيعلمون بالتاكيد بالتكرار وفي سوره الهاكم وقع هذا

آخر سورة القيامة وأول النبأ

صوابا قيل لا اله الا الله والاولى حمله على عموم الصواب المستدعي
شرعا وان كان لفظ الاية مطلقا ذلك اليوم الحق اي الذي يقع
فيه الحق والعدل او اليوم الثابت الوقوع من حق يحق فمن شاء
اتخذ الى ربه مآبا هذا صيغته صيغة التخيير وليس كذلك
انما هو ضرب وعيد وتهديد نحو فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
او ضرب تحريض على اتخاذ المآب اذ ليست مشيئة الانسان
مستقلة بما يريد من امر دين ولا دنيا انا انذرناكم عذابا قريبا
هذا خطاب للكفار الملذين الطاغين عذابا قريبا بالنسبة
الى امهال الله عز وجل عباده او بالنسبة الى ما علمه بقي من اعمارهم
واشارة الى وهما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب يوم
ظرف لوقوع العذاب ينظر المرء ما قدمت يداه اما
حقيقته او جزاءه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا لما يعاين من
العذاب يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض تعالى ان البهائم بعد حشر [illegible] الحلم يجعلها تصير ترابا ويؤمر
بالكافر الى العذاب فحينئذ يتمنى لو كان بهيمة يصير ترابا هذا
آخر الاملاء والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا قال مليه انهاه
كاتبه سليمان البغدادي في السابع عشر من رجب سنة احدى عشر
وسبعمائة بمدرسة باب العيد من القاهرة المعزية حرسها
الله وسائر بلاد الاسلام حامدا لله عز وجل مصليا على رسوله عليه السلام

آخر سورة النبأ

الثاني ان يكون المعنى الذي يوسوس كاينًا او مستقرا في صدور
الناس فيكون محل الجار والمجرور نصبٌ على الحال وهو اوفق
للسنه الصحيحه وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
يجري من ابن ادم مجرى الدم واعلم ان الوسوسه على القلب وانما
عبر عنه بالصدر لانه محل القلب كما عبر عن العقل بالقلب
لانه محله في قوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ وقوله
عز وجل من الجنه والناس هذا بيان لجنس الخناس وتقسيم له
الى نوعين الجنه والناس اي من شر الوسواس الخناس الذي
هو من الجنه والناس وهذا ينظر الى قوله عز وجل وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورًا وهو معنى قولهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض في بعض الاقوال والله عز وجل اعلم بالصواب قوله عز وجل
والسما والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والسما
قسم ثم هل هو قسم بنفس السما لانها خلق عظيم تدل على عظيم
قدره خالقها لقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس او قسم برب السما على تقدير حذف المضاف
فيه قولان انما الطارق فقد اقسم الله عز وجل بالنجم الثاقب
سمي طارقا لطروقه ليلا اي خروجه وظهوره ومنه قول هند بنت
عتبه يوم احد نحن بنات طارق نمشي على النمارق وما ادراك

صيغة استفهام

أول سورة الطارق

يأكلوا ويتمتعوا اندرهم في غمرتهم حتى حين ورويدا صفه مصدر محذوف
اي امهلهم امهالا رويدا اي لينا سهلا ويحتمل ان يكون حالا من الفاعل
او المفعول اي امهلهم مرودا لهم او مرودين اي امهلهم رافقا بهم
او مرفوقا بهم او غير معنف بهم او غير معنفين او امهلهم منتظرا
لهم او منتظرين لشهد ذلك فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون
سورة الانشقاق قوله عز وجل اذا السما انشقت
ذكر النحاه ان الاسم المرتفع بعد اذا مرفوع بفعل قبله يفسره
ما بعده تقديره اذا انشقت السما انشقت ولو جعل من باب
التقديم والتأخير لم يبعد قوله عز وجل واذنت لربها اي
سمعت لامره بالانشقاق واطاعت اشتقاقا من الاذن
التي هي محل السمع وحقت اي حق لها ان تسمع وتطيع لعظم
الامر لها بذلك فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طايعين قوله عز وجل واذا الارض مدت لتعدل
مد الاديم العكاظي كما ثبت في السنه حتى تصير لا ترى فيها عوجا
ولا امتا والقت ما فيها يعني من الموتى وتخلت منه فصارت
منه خلا اي خاليه وهو معنى قوله عز وجل واخرجت الارض
اثقالها فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يخرجون من
الاجداث كانهم جراد منتشر ونحو ذلك واذنت لربها وحقت
يحتمل انه تاكيد للاول ويحتمل ان الاول عايد على انشقاقها والثاني

آخر سورة الطارق وأول سورة الانشقاق

نظر ان الذين لا يومنون ولا يسجدون هم الكفار فلا يصح استثنا
المومنين منهم استثنا متصلا لهم اجر ثواب غير ممنون
فيه وجهان احدهما غير منقطع ومنه المنون لقطعها الاجال
والثاني لا يمن عليهم به من المنه وقوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى ولكن هذا اخر هذا التعليق المختصر كتبه سليمان
ابن عبد القوى البغدادى في حبس رحبة باب العيد في ليلة الثلثا
ويومه حادي عشر رجب الفرد سنة احد عشر وسبعمائة حامدا
لله عز وجل مصليا على رسوله عليه السلام ٥ ومن خط مؤلفه نقل
غفر الله لكاتبه ومؤلفه وقاريه والناظر فيه ومن دعا لهم بالرحمة وجميع المسلمين

بيان لقطعها الاجال

قال مؤلفه

بلغ مقابلة باصل مؤلفه

آخر سورة الانشقاق



# تفسير سورة
# ق

## سُورَةُ قٓ

ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ (١) بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ (٣) قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ (٤) بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ
(٥) أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ (٦) وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ (٧) تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ (٨) وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ (١٠)
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ (١٣) وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
(١٤) أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ (١٥)

وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ
مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ
﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ
ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ
يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ
كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ
إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ وَأُزۡلِفَتِ
ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ
﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا
بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَاۖ وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾
وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي

ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾



# [بسم الله الرحمٰن الرحيم]
# ربّ يسِّر يا كريم[1]

الحمدُ لله ربِّ العالمين حمد الشاكرين.

ثم لنختم هذا الإملاء، بتفسير سورة ﴿ق﴾ لما اشتملت عليه من المطالب العالية.

قوله عز وجل: ﴿ق﴾ اختلف فيه، فقيل: هو جبل مُحيط بالأرض من جوهر أزرق، وإن شعاعه يقع على السماء فمنه زُرقتها. وقيل: الإشارة به إلى قدرة الله عزّ وجلّ، لأنّه حرف منها، كما قال ابن عباس في ﴿كهيعص﴾ إن الكاف من كافٍ، والهاء من هادٍ، والياء من عليم، والعين من عزيز، والصاد من صادق[2]. ويحتمل أن يكون ﴿ق﴾ أمراً، ثم فيه وجهان:

**أحدهما**: من الوقوف ، كقول الراجز:

قُلْنا لها قِفي لنا قالَتْ قافْ[3]

---

(١) في أول المخطوطة: (قال العلامة نجم الدين، سليمان بن عبدالقوي البغدادي الحنبلي).

(٢) الطبري ٣٣/١٦، والقرطبي ٧٤/١١، والدر المنثور ٢٥٨/٤.

(٣) ينسب البيت للوليد بن عقبة. ينظر الفراء ٧٥/٣، والخصائص ٣٠/١، والطبري ٧٠/١، ٩٣/٢٦، والقرطبي ١٥٥/١، ٢/١٧، وشرح شواهد الشافية ٢٧١.

أي وقفت. وكما استعمل (ق) في وقفت، فكذا يستعمل في قف. فيكونُ المعنى قف للكفّار فسترى عاقبتهم.

**الثاني**: أنّه أمر من المقافاة، كما قيل في ﴿ص﴾ بكسر الدال[1]: إنّه من المصاداة[2]، فيكون المعنى قافِ الكفار: أي أعرِضْ عنهم وولِّهم قفاك، نحو أعرِض عنهم فسيكفيكهم، ويكون على هذا من آيات الإعراض المنسوخة، أو المحكمة بمعنى التهديد[3].

قوله عز وجل ﴿**والقرآنِ المجيد**﴾ قسم بالقرآن، ﴿والمجيد﴾ قد سبق أنه «فعيل» من المجد: وهو الشرف[4].

قوله عز وجل: ﴿**بل عَجِبوا**﴾ الآية. ﴿بل﴾ حرف معناه الإضراب فيقتضي مُضْرَباً عنه، وليس مذكوراً، فهو محذوف دلّ عليه سياق الكلام. فالتقدير: والقرآن المجيد ليس بخافٍ عنهم أمرُك، ﴿بل عجبوا﴾ أو: والقرآن المجيد لست بكاذب كما يزعمون.

﴿**بل عَجِبوا أَنْ جاءَهم مُنْذِرٌ منهم**﴾ اختصّ عَليهم

---

(١) في الأصل (الصاد) والصواب ما أثبت.

(٢) هذا في قراءة (قافِ) بكسر الفاء، وهي للحسن وغيره، كقراءة الحسن (صادِ) بكسر الدال، القرطبي ١٥/١٤٢، ١٧/١، والبحر ٧/٣٨٣، ٨/١٢٠، والإتحاف ٣٧١، ٣٩٨.

(٣) ينظر معنى (ق) في الطبري ١٦/٣٣، والقرطبي ١١/٧٤، والدر ٤/٢٥٨.

(٤) وردت كلمة (مجيد) في سورة هود ٧٣، والبروج ١٥، ٢١، ولا يدرى أين سبق بيان المؤلف لها.

بالرسالة، وليس ذلك محلّ عجب، وإنما هي شبهة وقعت لهم، ويحتمل أن يكون جواب القسم: ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[1] على ما ذكر نظيره بعضُ المفسّرين، لكنّه بعيد جداً ﴿أن جاءهم﴾ أي: عجبوا من أن جاءهم، أي من مجيء منذر منهم، لأن ﴿أنْ﴾ وما بعدها في تقدير المصدر، وعجبت لا تتعدّى بنفسها بل بمن، تقول: عجبت من كذا، ولا تقول عجبت كذا، ويحتمل تضمين عجبوا معنى استعظموا، فيتعدّى بنفسه، أي استعظموا أو استغربوا مجيء منذر منهم. وفائدة قوله عز وجل: ﴿منهم﴾ التنبيه على المثل المشهور «مغنّية الحيّ لا تُطرب»، وقولهم: « ما وقّرك كبيراً من عرفك صغيراً»[2]، وفيه إشارة إلى قول الأمم الخالية: ﴿أبَشَراً منّا واحِداً نتّبعه﴾[3]، ﴿ما أنتم إلاّ بَشَرٌ مثلُنا﴾[4]، ﴿أأُلْقِي الذكرُ عليه من بيننا﴾[5] ونحو ذلك، لأنهم استشعروا من كونه منهم مساواتهم له، ثم رأوا تخصيصه بإنذارهم ترجيحاً من غير مرجِّح فأنكروه لذلك، والمقدّمتان باطلتان.

﴿فقال الكافرون﴾ عطف على ﴿عجبوا﴾ والأصل: بل عجبوا فقالوا، ولكن وضع الظاهر موضع الضمير تشنيعاً عليهم

---

(١) سورة ق: الآية ٣٧. وينظر القول في جواب القسم: الفراء ٣/٧٥، والمشكل ٢/٣١٨، والعكبري ٢/٢٤١، والقرطبي ١٧/٣، والبحر ٨/١٢٠، والدر المصون ٧٣ ب.

(٢) لم أقف عليهما في كتب الأمثال، ويبدو أنهما مما أُثر من الأمثال المتأخرة.

(٣) سورة القمر: الآية ٢٤.

(٤) سورة يس: الآية ١٥.

(٥) سورة القمر: الآية ٢٥.

وتعظيماً لمقالتهم ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾[1] ﴿هذا شيء عجيب﴾ ﴿٢﴾ هذا إشارة إلى مجيء منذر منهم، ثم لما عجبوا من ذلك بقلوبهم نطقوا بمقتضى تعجّبهم بألسنتهم، ثم لمّا كان من جملة ما أنذرهم به المنذر عذاب الآخرة الكائن بعد البعث صرّحوا بالتعجّب منه، فقال: ﴿أئِذا مِتْنا وكُنّا تُراباً ذلك رَجعٌ بعيد﴾ ﴿٣﴾ وهو استفهام إنكار واستبعاد، وهذه همزة استفهام دخلت على همزة (إذا). فصارت ﴿أإذا﴾ و﴿كُنّا﴾ أي صرنا، وكان يقع بمعنى صار، نحو قوله:

.............. قطا الحَزْن، قد كانَتْ فراخاً بيوضُها[2]

أي صارت. ﴿ذلك﴾ يعني رجوعنا بعد الموت ﴿رجعٌ بعيد﴾ أي ممتنع، لأن إحياء الموتى خصوصاً بعد التلاشي ممتنع في قوّة البشر، بعيدٌ عن عقولهم، ولولا أن الشرائع فتحت باب جوازه لما أقدم عاقل على تجويزه.

قوله عز وجل: ﴿قد عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرض منهم﴾[3] لما أحالوا البعث أشار الله عز وجل إلى جوازه بالدليل، وتقريره من الآية وما بعدها: أن المصحح للبعث هو العلم التام والقدرة التامة، والله عزّ وجلّ تام العلم والقدرة، فبتمام علمه يعلم ما

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٠.

(٢) البيت لابن أحمر، شرح المفصل ١٠٢/٧، واللسان ـ كون، وخزانة الأدب ٣١/٤، وصدره:

بتيهاءَ قفرٍ، والمطيُّ كأنّه ..................

(٣) تمام الآية ﴿... وعندنا كتابٌ حفيظ﴾.

تنقص الأرض منهم من لحم ودم وعظم، وانحلال ذلك كلّه إلى الجواهر المفردة، ويعلم محالّها بعد انحلالها، وهي ثابتة في الكتاب الحفيظ، وهو أم الكتاب. أو هو كناية عن كمال العلم الإلهي، والله عز وجل قادر على تأليف تلك الأجزاء وإعادة ما نقص منها بقدرته التامة، وأشار إليها بقوله عز وجل: ﴿أفَعَيِينا بالخلق الأوّل﴾[1] فتم بذلك الدليل على إمكان البعث، وإذا كان ممكناً فلا وجه لإحالته، ثم إذا أخبر به الصادق وجب الإيمان به، وقد سبق في العقيدة تقرير ذلك ﴿حفيظ﴾: بمعنى حافظ لما فيه، أو محفوظ، نحو: ﴿بل هو قرآنٌ مجيد * في لوحٍ محفوظ﴾[2] والمقصود على القولين أن ما في هذا الكتاب محفوظ لا يتغيّر ولا يتبدّل.

قوله عز وجل: ﴿**بل كذَّبوا بالحقّ لمّا جاءَهم**﴾ الآية، هذا إضراب ثان، فهو إما بدل من الأول، أو هو مستقلّ[3]، والتقدير: إن رجعهم بعد الموت ليس محالاً، وقد بينّا إمكانه، بل هم قوم مكذّبون بالحقّ معاندون له، والحقّ هو القرآن أو الإخبار بالبعث مع قيام دليله. أو النبيّ، أو الإسلام، وكلّها متلازمة. وقوله عز وجل: ﴿لمّا جاءهم﴾ أي حين مجيئه إياهم، فهي ظرف للتكذيب. وفي ﴿لمّا﴾ إشارة إلى شدة التشنيع عليهم حيث بادهوا بتكذيب الحقّ من غير تروٍّ ولا نظر، ونظيره قوله عز وجل: ﴿وقال

---

(١) سورة ق: الآية ١٥.

(٢) سورة البروج: الآية ٢١، ٢٢.

(٣) البحر ١٢١/٨، والدر المصون ق ٧٣ ب.

الـذين كفروا للحقّ لمـا جـاءهم إنْ هـذا إلاّ سحـرٌ مُبين﴾[1].
و ﴿جـاءهم﴾. بمعنى بَلَغَهم أو وصـل إليهم، أو أدركـوه، أو علموه، لأن المعاني لا يتأتّى منها المجيء حقيقة، أو: لما جيئوا به، اللهم إلا أنه يراد بالحقّ الرسول، فيصحّ المجيء الحقيقي فيه.

﴿فهم في أمـرٍ مَريـج﴾ (٥) الفـاء معنـاهـا السببيـة، لأنّ تكذيبهم بالحقّ أوجب لهم الاختلاط في أمرهم، ولو صدقوا به كغيرهم لما اختلـط عليهم أمر، والمراد بالأمر الاعتقاد، أي هم في اعتقاد مختلط، وهو معنى المريج، ومنه مارج النار لاختلاطه من دخان ونار. ومَرَجَتْ أحوالُ القوم: اختلطت، فهم متردّدون بين الإيمان والإنكار، وإمكـان البعث وامتناعـه. و ﴿مريـج﴾ «فعيل» بمعنى «مفعول»، أي ممروج مخلوط، فهذا دليل من أدلّة البعث. ثم شرع في غيره من أدلته، فقال عز وجل:

﴿أوَ لَمْ ينظروا إلى السماءِ فوقَهم كيف بَنَيْناها. . .﴾ الآية.
هذا أيضاً استفهام إنكار، وفيـه معنى التبليد، أي: هؤلاء بُلَداء حيث لم ينظروا في خلق السماء فيستدلوا به على ما أنكروه من البعث، وطريق ذلك ما مرّ من أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وخلق الناس أكبر من إعادتهم، فالقادر على الأكبر بمرتبتين كيف يعجز عن الفعل الأصغر، والمراد بالنظر ها هنا نظر العين، ولهذا عدّاه بـ ﴿إلى﴾ ثم يترتّب على نظر العين نظر القلب،

---

(١) سورة سبأ: الآية ٤٣.

ونحوه ﴿وجوهٌ يومَئِذٍ ناضِرة. إلى ربِّها ناظِرة﴾[1] ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقَت﴾[2]. و ﴿بنيْناها﴾ رفَعْناها على هيئة البناء، ﴿والسماءَ بَنَيْناها بأيدٍ﴾[3] والبناء حقيقة هو المشاهد: وهو وضع اللَّبِن ونحوه بعضه على بعض مباشرة، والله عزّ وجلّ يقول للشيء: كن فيكون، ويجوز أن يكون إنشاء السماء والأرض من الله عز وجل على هيئة إنشائه لهما بناء حقيقياً بالنسبة إليه عزّ وجلّ. ﴿وَزَيَّنّاها﴾ يَعني بالنجوم كما ذكر في «الصافات» «وتبارك»[4] وغيرهما. ﴿وما لها من فُروج﴾ ﴿٦﴾ أي هي مصمتة لا خرق فيها، ولعلّ الإشارة إليه بقوله عز وجل: ﴿الذي خلق سبعَ سمواتٍ طِباقاً ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوُتٍ فارجِع البَصَر هل ترى من فُطور﴾[5] جمع فطر: وهو الصدع، ومنه: ﴿السماءُ مُنْفَطِرٌ به﴾[6]. ﴿تكادُ السمٰواتُ يتفطّرن من فوقهنّ﴾[7].

فإن قيل: إذا لم يكن للسماء فُروج فمن أين تنزل الملائكة وتصعد؟ فالجواب: يحتمل أن لها أبواباً معدّة للصعود والنزول، وقد ثبت في حديث المعراج أن جبريل كان يستفتح عند وصوله

---

(١) سورة القيامة: الآية ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة الغاشية: الآية ١٧.
(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٧.
(٤) في قوله تعالى في سورة الصافات الآية ٦: ﴿إنّا زيّنّا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب﴾ وفي سورة الملك الآية ٥: ﴿ولقد زيّنّا السماءَ الدنيا بمصابيح . . .﴾.
(٥) سورة الملك: الآية ٣.
(٦) سورة المزمل: الآية ١٨.
(٧) سورة الشورى: الآية ٥.

كل سماء[1]، وذلك يدلّ على ما قلنا. والنفي وقَع للفروج لا للأبواب. ويحتمل أن الملائكة تخترقها صاعدة ونازلة كحركة السمك في الماء. والطير في الهواء، من غير انخراق مستقرّ، ولا حجّة للفلاسفة في هذا، على أن العلل لا تقبل الحرق والالتئام، لأن الآية إنما نفت الفروج عن السماء بالفعل لا بالقوة.

قوله عز وجل: ﴿**والأرضَ مَدَدْناها**﴾ الآية ﴿**الأرض**﴾ نصب من باب: زيداً ضربته ﴿والقمرَ قَدَّرْناه﴾[2] من باب الاشتغال. و ﴿**مَدَدْناها**﴾ بَسَطْناها ودَحَوْناها بعد أن كانت رابية مجتمعة. ﴿**وأَلْقَيْنا فيها رواسِيَ**﴾ وضعنا فيها جبالاً رواسي ثوابت متغلغلة فيها لتمسكها أن تميد بالخلق. ورسا ورسب متقاربان في المعنى، غير أن رسا في الجامد ورسب في المائع[3]، هذا هو المعروف، وقد يستعمل أحدهما بمعنى الآخر ومنه (كان لرسول الله ﷺ سيف يسمّى الرَّسوب)[4] يرسب في الضريبة وينزل فيها، ﴿**وأنْبتنا فيها من كل زوجٍ**﴾ صنفٍ من النبات ﴿سبحانَ الذي خَلَقَ الأزواجَ كلَّها﴾[5] ﴿أوَ لم يرَوا إلى الأرضِ كم أَنْبَتْنا فيها من كلِّ زوجٍ كريم﴾[6] ﴿**بَهيج**﴾ ﴿٧﴾ مبهج، يؤثر لمن يراه بهجة وراحة، وفي

---

(١) ينظر البخاري (الفتح) كتاب بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة ٣٠٢/٦.
(٢) سورة يس: الآية ٣٩.
(٣) ينظر المقاييس ٣٩٤/٢، ٣٩٥.
(٤) طبقات ابن سعد ٤٨٦/١، والنهاية ٢٢٠/٢.
(٥) سورة يس: الآية ٣٦.
(٦) سورة الشعراء: الآية ٧.

الكلام المشهور: (ثلاثة تنفي عن القلب الحزن: الماء والخضرة والوجه الحسن)[1].

﴿تبصرةً وذِكرى﴾ أي فعلْنا ذلك للتبصرة[2]: أي ليتبصّر به ﴿لكلّ عبدٍ مُنيب﴾ ﴿٨﴾ ويتذكّر به فيعرف صانعه بآثاره المتقنة. والمنيب: الراجع إلى الله عز وجل بالإيمان والطاعة، من: أناب ينيب إنابة، فهو منيب، وقد بيّنّا وجه دلالة خلق السماء والأرض على إعادة الخلق، فهذا دليل ثان.

قوله عز وجل: ﴿ونَزَّلْنا من السماءِ ماءً مباركاً. . .﴾ الآية، فهذا دليل ثالث، على البعث، وقد صرّح به بقوله عز وجل: ﴿كذلك الخروج﴾[3] يعني خروج الموتى أحياء من الأرض، وفي آخر السورة: ﴿ذلك يومُ الخروج﴾[4] ونزّلْنا وأنزلْنا بمعنى، وربما فرق بينهما بأن التنزيل يقتضي تكثيراً أو تكراراً بخلاف الإنزال، وفيه نظر، بدليل: ﴿لولا نُزِّل عليه القرآنُ جملةً واحدة﴾[5]. ﴿من السماء﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية، و﴿السماء﴾: كلّ ما علا فأظلّ،

---

(١) روي: (ثلاثة يجلين البصر. . .) وقيل: إنّه من الحديث الشريف، وضُعّف. ينظر كشف الخفاء ٣٨٦/١، وفيض القدير ٣١٣/٣، وضعيف الجامع الصغير ٦٢/٣.

(٢) أي مفعول لأجله: ويعرب مفعولاً مطلقاً، والفعل محذوف تقديره: بصّر، وذكّر، كما يعرب حالاً. ينظر العكبري ٢٤١/٢، والبحر ١٢١/٨، والدر المصون ٧٤ أ.

(٣) سورة ق: الآية ١١.

(٤) سورة ق: الآية ٤٢.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

والماء المبارك: المطر. واختلف في المطر: هل ينزل من فوق السماء أو من جهتها من دونها، فيه خلاف، والثاني أشبه. وسمّي المطر مباركاً لأنّه من الجهة المباركة التي هي قبلة الدعاء ومحلّ الملائكة وغير ذلك. ونُقل عن علي رضي الله عنه أنّه قال: «من مرض فليأخذ ماء المطر وشيئاً من صداق امرأته يشتري به شيئاً من عسل، فيمزجه بالماء، وليأكله، يبرأ إن شاء الله عز وجل». ليجمع بين المبارك والهنيء والشفاء[1]. يعني قول الله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنا من السَّماءِ مبارَكاً﴾، ﴿فإنْ طِبْنَ لكم عن شيءٍ منه نَفْساً فكُلوه هنيئاً مريئاً﴾[2]. ﴿فيه شِفاءٌ للناس﴾[3]. ﴿فأنْبَتْنا﴾ أخرجْنا ﴿بِهِ﴾ بسببه ﴿جنّاتٍ﴾ بساتين ﴿وحبَّ الحَصيد﴾ (٩) ظاهر هذا إضافة الشيء إلى نفسه، إذ الحبّ هو الحصيد، وهو رأي الكوفيين، ومنع ذلك البصريون لاقتضاء الإضافة شيئين متغايرين: مضافاً ومضافاً إليه، وتأوّلوا هذا وأمثاله مثل: دار الآخرة، وصلاه الأولى، ومسجد الجامع، على حذف مضاف: أي صلاة الساعة الأولى، ودار الكرّة الآخرة، ومسجد الموضع الجامع، وحبّ العصف الحصيد[4]. ولا نسلّم أن الحبّ هو الحصيد، بل الحصيد العصف: وهو التِّبن، ويسمى الجِلّ، والحبّ مضاف إليه، والمراد: أنْبَتْنا به التمر والزرع. ﴿والنخل﴾ عطف على ﴿جنّات﴾

---

(١) ينظر القرطبي ٥/٢٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٦٩.

(٤) ينظر الفراء ٣/٧٦، والمشكل ٢/٣١٩، والقرطبي ١٧/٦، والعكبري ٢/٢٤١، والبحر ٨/١٢١.

أي وأنبتنا به النخلَ، دليله: ﴿وهو الذي أَنْزَل من السّماء ماءً فأَخْرَجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ﴾[1] الآية. ويحتمل عطفه على محل ﴿إلى السماء﴾ تقديره: أفلم ينظروا إلى السماء[2].

﴿والنخل باسقاتٍ﴾ عاليات مرتفعات. يقال بسَق: إذا علا وارتفع، ومقلوبه سبق، وفيه معنى العلوّ معنى أو حسّاً، كسهمين مرتفعين في الجو يسبق أحدهما الآخر. و﴿باسقات﴾ نصب على الحال، على تقدير: أفلم يروها باسقات. أو: وأنْبتنا النخل باسقات، فيكون حالاً مقدّرة، إذ حال إنباتها لم تكن باسقة وإنما بسقت بعد ذلك[3]. والنخل جمع نخلة، ولهذا جمع باسقات جمع المؤنث، ولو أُريد بالنخل اسم الجنس لقال باسق، على أنّه يجوز ملاحظة الجمع في اسم الجنس، فيريد بالباسقات جنس النخلِ. فإن قلت: إن أُريد بالنخل العموم فليس جميعه باسقاً، وإن أُريد بعضه وهو الباسق منه فهو خلاف ظاهر العموم. فالجواب: يجوز أن يراد به العموم، وينزل على القدر المشترك من البُسوق في النخل ولو طول ذراع فإنه طول، إذ الطول والقصر معنيان إضافيان، ويجوز أن يراد البعض وهو النخل الطوال، ويكون لفظاً عاماً أُريد به الخاص. وقوله عز وجل: ﴿لها﴾ أي للنخل ﴿طَلْعٌ﴾ وهو ثمرها أول ظهوره، مشتقاً من طلع يطلع: إذا ظهر، وأُضيف إليها لأنّها محلّه ومستقرُّه، والإضافة تتحقّق بأدنى ملابسة. قوله عز وجل: ﴿نَضيد﴾ ﴿١٠﴾ منضود، والنَّضْد: النظم،

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٩.
(٢) اقتصر العبكري ٢/٢٤١، على الأول.
(٣) البحر ٨/٢٢، والدر المصون ٧٤ أ.

ومن المشاهد أن عراجين النخل في سائر أحوالها تشبه العقد المنظوم. والنظيم والنضيد متقاربان لفظاً ومعنى.

قوله عز وجل: ﴿رِزْقاً للعباد﴾ يجوز نصبه على القطع على رأي الكوفيين[1]، ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿جنّات﴾ أو بدلاً منه، أي فأنبتنا به جناتٍ رزقاً، ويجوز أن ينتصب بفعل مضمر: أي أنبتنا ذلك أو جعلناه رزقاً للعباد يأكلونه قوتاً وفاكهة وغذاءً ودواء وما كان من ذلك[2] ﴿وأحْيَيْنا به﴾ أي بالماء ﴿بَلْدةً مَيْتاً﴾ وإحياء الأرض: إخصابها بعد إجدابها، لأن الخصب لها كالحياة للبدن، والجدب كالموت بجامع الحلية والعُطْلة، والإنس والوحشة. وقال: ﴿بلدةً مَيْتاً﴾ على تأويل البلد، فهو تذكير على المعنى[3] ﴿كذلك الخروج﴾ ﴿١١﴾ أي كما أخرجْنا من الأرض ما ذكرنا من الجنات والحبّ نخرج الموتى عند البعث. هذه ثلاثة أدلّة على البعث، وفي ضمنها دليل على غيرها من الاستدلال على وجود الصانع وحكمته ونحو ذلك مما ذكر.

قوله عز وجل: ﴿كذَّبَتْ قبلَهم﴾ أي قبل الكفار الذين قالوا ﴿هذا شيءٌ عجيبٌ﴾[4] ﴿قومُ نوحٍ وأصحاب الرَّسِّ﴾ هو البئر،

---

(١) يعني مصطلح القطع عند الكوفيين أنه مفعول به لفعل محذوف، أو حال.

(٢) أجاز العلماء فيه أوجهاً: أن يكون مفعولاً من أجله، أو مفعولاً مطلقاً، أو حالاً. ينظر المشكل ٣١٩/٢، والعكبري ٢٤١/٢، والبحر ١٢٢/٨، والدر المصون ٧٤ أ.

(٣) قال القرطبي ٧/١٧، وقال: (ميتاً) لأن المقصود المكان، ولو قال ميتة لجاز.

(٤) في الآية الثانية من هذه السورة.

ولعلّه البئر المعطلة المذكورة في سورة «الحج»[1]، ومادة «رسّ» تفيد: معنى العمق والنزول[2]، وفي البئـر معنى ذلك، ورَسيس الوَجْد: ما تَغْلَغَلَ منه في القلب ونزل إلى أعماقه، ولهـذه البئر قصة مشهورة ﴿وثمودُ. وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوط. وأصحـابُ الأيكةِ﴾ هم من قوم شعيب: ﴿كذّب أصحاب الأيكة المرسلين، إذ قال لهم شعيب ألا تتّقون﴾[3] وهو أرسل إلى طائفتين: مدين وهم قومه، وأصحاب الأيكة وهم أجانب[4] منه ولذلك قال عز وجل: ﴿وإلى مَدْيَنَ أخاهم شُعيبـاً﴾[5] وقال: ﴿كـذّب أصحابُ الأيكـة المرسلين. إذ قال لهم شعيـبٌ﴾ ولـم يـقل أخوهم و﴿قوم تُبّع﴾ هم ملوك اليمن[6] ﴿كلٌّ﴾ أي كلّ واحدٍ من هذه الأمم، أو: كلّ فريق منهم ﴿كذّبَ الرُّسُلَ﴾ لأن الرسل جاءوا جميعاً من عند الله عز وجل، يـدعون إلى تـوحيده والإيمـان به، فدعواهـم واحدة، فتكذيب أحدهم تكـذيب جميعهم. وهذا هـو الجواب عن كـلّ موضع أُضيف فيه تكذيب الرسل إلى طائفة واحـدة ذات رسول واحد ﴿فحقَّ وعيد﴾ ﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾ أي استحقّـوه ووجب لهم في حكم العدل والتقدير حقّ موجب وعيدِ، وهو تعذيبهم وإهلاكهم، والوعيد: الإخبار بوقوع الشرّ، وضدّه الوعد.

---

(١) في قوله تعالى ـ الآية ٤٥: ﴿وبئر معطلةٍ وقصر مشيدٍ﴾ وينـظر القرطبي ٧٥/١٢.

(٢) في المقاييس ٣٧٢/٢، أن المادة تدل على الثبات.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ١٧٦، ١٧٧.

(٤) ينظر القرطبي ٨٤/٩، ٤٥/١٠، ١٣٥/١٣.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

(٦) الطبري ٧٧/٢٥، والقرطبي ١٤٤/١٦.

قوله عز وجل: ﴿**أَفَعَيِينا بالخلق الأوّل...**﴾ الآية، استفهام إنكار عليهم، أي: أَعَجِزْنا عن خلقكم أوّل مرة حتى نعجز عن إعادتكم؟ وهو دليل رابع على البعث، قياساً على الإبداء بطريق أولى كما مرّ في العقيدة، يقال: عيَّ الرجل بأمره: إذا تحيّر فيه ولم يستقلّ به، قال الشاعر:

عَيُّوا بأمرهم كما … عَيَّتْ ببيضتِها حمامَهْ
جعلت لها عُودَين من … نَشَم، وآخرَ من ثُمامَهْ[1]

﴿**بل**﴾ أي لم نَعي بالخلق الأول حتى نعيى البعث ﴿**بل هم**﴾ يعني منكري البعث ﴿**في لَبْس**﴾ أي شكٍّ وإشكال ﴿**من خَلْق جديد**﴾ (١٥) أي يختلط عليهم أمر البعث فلا تدركه عقولهم كلّ الإدراك، ولا يأخذونه مسلَّماً عن الشرع. ﴿جديد﴾ صفة ﴿خلق﴾ لأن الخلق الأول وهو هذا الذي نحن فيه يدثُر ويتلاشى، فالإعادة تكون خلقاً جديداً.

قوله عز وجل: ﴿**ولقد خَلَقْنا الإنسان**﴾ أنشأناه واخترعناه ﴿**ونعلمُ**﴾ أي ونحن نعلم، ولولا هذا التقدير للزم عطف المضارع على الماضي وهو ﴿نعلم﴾ على ﴿خَلَقْنا﴾ وفيه ما فيه[2] ﴿ما

---

(١) اللسان ـ عي لعبيد بن الأبرص، وهما في ديوانه ١٣٨، ورواية الأول في الديوان:

برمت بنو أسدٍ كما … برمت ..............

والنشَم: شجر تتّخذ منه القسيّ. والثمام نبت ضعيف.

(٢) جوّز العكبري ٢٤١/٢ أن تكون الجملة حالاً مقدرة، أو مستأنفة. وينظر الدر المصون ٧٤ ب.

تُوَسْوِسُ﴾[1] أي وسوسة نفسه: وهو حديثها الخفي ﴿إنّه يعلم الجهر من القول ويعلمُ ما تكتمون﴾[2] وقد قال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عمّا حدّثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تَكَلَّمْ»[3]

﴿ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد﴾ ﴿١٦﴾ هذا القرب عند المفسّرين بالعلم[4]، نحو: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[5] و﴿ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعهم﴾[6] وعند الحلولية هو قرب بالذات، لأن الربّ جلّ جلاله حالٌّ في خلقه عندهم ـ تعالى الله عمّا يقول الظالمون ـ. و﴿حبل الوريد﴾ هو من الإضافة كـ ﴿حبَّ الحصيد﴾[7]. وفي الحقيقة هو عرق سارٍ في البدن، ففي الحلق يُسمَّى وريداً، وفي الظهر أبهر، وفي القلب أو الصدر وَتين، وفي الرجل نسا، وجميع هذه الأسماء واردة في الكتاب كالوريد والوتين، وفي السنة كالأبهر والنَّسا[8].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إذا يتلقّى المتلقّيان﴾ الآية ﴿إذ﴾ متعلّق إما

---

(١) تمام الآية ﴿... ونعلم ما توسوسُ به نفسه ونحن أقرب...﴾.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١١٠.

(٣) البخاري ـ كتاب العتق باب ٦ ـ ٥/١٦٠ (الفتح). ومسلم ـ كتاب الإيمان باب ٥٨ ـ ١/١١٦.

(٤) قال القرطبي ١٧/٩ وهذا القرب قرب العلم والقدرة.

(٥) سورة الحديد: الآية ٤.

(٦) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٧) ينظر ص ٣٤.

(٨) وردت كلمة الوتين في قوله تعالى: ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ سورة الحاقة: الآية ٤٦. ولفظة الأبهر في البخاري ـ المغازي ٨/١٣١، ولفظة النسا في المسند ٣/٢١٩، ٥/٧٨.

بـ ﴿أقرب﴾ قبلها: أي نحن أقرب إليه حين يتلقّى المتلقّيان، يعني الحافظَين يتلقيان كلما يقع منه فيكتبانه أو بـ ﴿ما يلفظ من قول﴾[1] أي: ما يلفظ من قول حين يتلقّى المتلقّيان كلامه إلاّ لديه رقيب وهو الملكان. فإن قيل: على التقدير الأول يلزم ألا يكون أقرب إليه من حبل الوريد إلاّ في حال تلقّي المتلقيين. قلنا: إن لزم ذلك فاللفظ لا عموم فيه يقتضي حصول القرب منه في عموم الأوقات، ولئن كان فيه عموم يفيد ذلك، أثبتنا القرب منه فيما عدا وقت تلقّي المتلقيين بدليل منفصل.

﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ ﴿١٧﴾ هذه الجملة في موضع حال[2]، أي: إذ يتلقّى المتلقّيان حال قعودهما عن يمينه وشماله. و ﴿قعيد﴾: قاعد، والمعنى عن يمينه وشماله. ولام التعريف تعاقب الإضافة فتشعر بها وتدلّ عليها، أو يكون التقدير: عن اليمين والشمال منه.

﴿وما يَلْفِظ﴾ أي يلقي ويرمي، واللفظ: الرمي والإلقاء، شبّه القول المنطوق به بجسم يُرمَى به ﴿من قول﴾ من هذه جنسية مؤكّدة للنفي. والرقيب: الحافظ على الدوام من غير غفلة. و ﴿العتيد﴾: فعيل من: اعتدّ الشيء: إذا حصّله وانتظر به فعل ما وُضع له. و ﴿لديه﴾[3] عنده. و ﴿لديه﴾ أخصّ مطلقاً أو من وجه، لأن «عند» تصدق على ما كان حاضراً من جميع الجهات الست،

---

(١) ينظر العكبري ٢/٢٤١، والبحر ٨/١٢٣، والدر المصون ٧٤ ب.

(٢) ينظر الدر المصون ٧٥ ب.

(٣) تمام الآية ١٨ ﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيبٌ عتيد﴾.

و ﴿لدى﴾ كأنّه يختص بجهة أمام: وهي جهة اليدين. والقول هل يعمّ كلّ ملفوظ به أو يختصّ بالكلام المفيد؟ فيه خلاف، وعليه يخرج ما يكتبه الملكان، فهذه حال الإنسان في وقت حياته من كونه مراقباً محفوظاً عليه.

ثم ذكر من ها هنا حاله من حين الموت إلى حين البعث وما بعده، فقال عز وجل: ﴿**وجاءَتْ سكرةُ الموت بالحقّ**﴾ الآية. ﴿**جاءت**﴾: أي حلّ وقتها، والسكرة: واحدة السكرات، وهي حالة مغيبة للذهن، ولكنها إذا كانت بالخمر صحبتها لذة، وإذا كانت بالموت ونحوه صحبها ألم، وأضيفت السكرة إلى الموت لأنّه سببها، ومعنى مجيئها بالحق أن الميت لا ظلم عليه بها، لأنّه عبد يتصرّف فيه ربّه عزّ وجلّ بما يختار، غيرَ ظالم له، أو أنها جاءت بلقاء الله عزّ وجلّ والمصير إلى الآخرة، وذلك حق. ﴿**ذلك**﴾ أي ويقال له لو أنّه مقول له بلسان الحال ذلك: أي هذا الموت ﴿**ما كُنْتَ منه تحيد**﴾ ﴿١٩﴾ أي تتقيه وتجتنبه وتميل عنه إذا أحسست سببه، وأشير إلى الموت الحاضر بلفظ الغائب تعظيماً له، كما قيل في ﴿ذلك الكتاب﴾[1].

﴿**ونُفِخ في الصُّور**﴾ وهو قرن سعته السموات والأرض، ينفخ فيه إسرافيل، فتخرج الأرواح منه إلى أجسادها[2]، وعُبّر عنه بلفظ الماضي إشارة إلى تحقّق وقوعه، حتى كأنّه مضى وانقضى. ﴿**ذلك يوم الوعيد**﴾ ﴿٢٠﴾ أي يوم يقع فيه الوعيد بأهله.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) ينظر الطبري ٧/١٥٧، والقرطبي ٧/٢٠.

﴿وجاءَتْ كلُّ نَفْسٍ معها سائقٌ وشهيد﴾ ﴿٢١﴾ جملة في محل الحال، أي: جاءت مصاحبة للسائق والشهيد[1]. والظاهر أنهما الملكان الحافظان، أحدهما يسوقه إلى موقف الحساب، وكلاهما شاهد عليه بما حفظا عنه، أو كلاهما يسوقه ويشهد عليه، أو هما الشهيد عليه، والسائق غيرهما، كل ذلك محتمل[2].

﴿لقد﴾ أي يقال لكلّ إنسان: ﴿لقد كُنْتَ في غفلةٍ من هذا﴾ أي من هذا المقام أو المنقلب أو الحال أو الموقف والحساب، ولما كانت الغفلة غالبة عليه جعلت ظرفاً له مجازاً، لأن الظرف يحيط بالمظروف من جميع جهاته. والغفلة: الذهول عن الشيء، ويلتقي معناها ومعنى الغلفة على معنى التغطيةَ بالجملة، و﴿من هذا﴾: أما بمعنى عن لأن غفل يتعدّى بعن لا بمن، أو أن من ابتدائية، أي ابتداء غفلتك هذا المشار إليه، لأنّه لما كان هو المغفول عنه صار كأنّه سبب الغفلة. ﴿فكَشَفْنا عنك غطاءَك﴾ أي حجابك الذي غطّاه عنك، والدنيا حجاب عن الآخرة، فإذا فارقها الإنسان عاين أمور الآخرة، وهذا بشرط الكفر وإلّا فمن أولياء الله المؤمنين من يقول وهو في الدنيا: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، لأن إيمانه كشف عنه حجاب الدنيا ﴿فبصرُك اليومَ حديد﴾ ﴿٢٢﴾ أي قويّ سديد الإدراك، وهو فعيل من الحدّة، أو الحديد، فأنت تدرك به ما كان يخفى عنك ﴿بل

---

(١) قال العكبري ٢٤١/٢: الجملة صفة لـ﴿نفس﴾ أو ﴿كلّ﴾ أو حال من ﴿كلّ﴾ وجاز لما فيه من العموم. وينظر الدر المصون ٧٥ب.

(٢) ينظر الطبري ١٠١/٢٦، والقرطبي ١٤/١٧، والبحر ١٢٤/٨.

بدا لهم ما كانوا يُخفون من قبل﴾[1]، ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿وقال قرينُهُ هذا ما لديّ عَتيد﴾ (٢٣) قرينه حفيظه المقارِن له في الدنيا[3]، هذا إشارة إلى عمله المحفوظ عليه ﴿ما﴾ يعني الذي لدي من عمله ﴿عتيد﴾ معدّ لحسابه عليه.

﴿ألْقِيا﴾ أي يقال للزبانية ونحوهم ﴿ألقيا في جهنّم﴾ والأمر في اللفظ لاثنين، أما في الحقيقة، فالمأمور قيل: اثنان توفيقاً بين المعنى واللفظ، وقيل: يجوز أن يكون واحداً، وثنّى ضميره إشارة إلى فظاظته وغلظته حتى إنه قائم مقام اثنين، أو نظراً إلى غالب حال من له أمر من العرب وغيرهم أن أقلّ ما يكون في خدمته اثنان، فيقول أحدهم لخادمه الواحد قوما أو اقعدا أو افعلا. وقال الحجّاج: يا حرسي، اضربا عنقه. ويحتمل أن ﴿ألقيا﴾ أمر واحد مؤكّد بنون خفيفة قلبت ألفاً إجراء للوصل مجرى الوقف. وقيل: التثنية للفعل لا للضمير، والتقدير ألق ألق، يكرّر عليه الأمر تأكيداً[4]. ﴿كلَّ كفّارٍ عَنيد﴾ (٢٤) معاند في الحق، كما حكى عنهم من ﴿إنّهم لا يُكَذّبونك ولكنّ الظالمين بآياتِ الله

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٨.
(٢) سورة الزمر: الآية ٤٧.
(٣) الطبري ١٠٣/٢٦، والقرطبي ١٦/١٧.
(٤) ينظر الفراء ٧٨/٣، والمشكل ٣٢١/٢، والطبري ١٠٣/٢٦، والقرطبي ١٦/١٧، والعكبري ٢٤٢/٢، والدر المصون ٧٥ ب.

يجحدون﴾[1] ﴿وجَحَدوا بها واسْتَيْقَنَتْها أنفسُهم ظُلماً وعُلُوّاً﴾[2].

﴿منّاع للخير﴾ يحتمل أن المراد وصفه بعموم منع الخير، كما قال عز وجل: ﴿ويمنعون الماعون﴾[3] ويحتمل أن المراد يمنع الإيمان نفسه بإعراضه عنه وغيره يصدّه عنه. ﴿مُعْتَدٍ﴾ مفتعل من العدوان بتركه للإيمان وغيره ممّا يجب عليه ﴿مُريب﴾ ﴿٢٥﴾ مرتاب غير مؤمن، أو فاعل للريب، يقال: أراب فهو مُريب: إذا أتى بما يُريب.

﴿الذي جَعَلَ معَ الله إلٰهاً آخرَ﴾ أي أشْرَكَ ﴿فألْقِياه﴾ عطف على ﴿ألْقِيا في جهنّم﴾ وليس ذلك تكراراً، لأن الثاني أخصّ من الأول، إذ الأول أمر بإلقائه في جهنّم، والثاني بإلقائه ﴿في العذاب الشديد﴾ ﴿٢٦﴾ منها، فهو مفيد زيادة عمّا أفاده الأول.

فإن قيل: كافر ومانع للخير أعم من كفّار ومنّاع، فقد كان الأمر بإلقائهما بهذه الصيغة أبلغ لعموم ذلك من اتّصف بعموم الكفر والمنع وخصوصهما، فلم عدل عن ذلك إلى صيغة المبالغة؟ فالجواب أنه يحتمل أن في هذا الكلام تعريضاً بمعيّن من الكفّار، متّصف بهذه الصفات على المبالغة فيها كأبي جهل ونحوه، نحو: ﴿ذُقْ إنّك أنت العزيزُ الكريم﴾[4]، ﴿أرأيت الذي ينهَى. عَبداً إذا صلّى﴾[5] فصار ذلك كالسبب للآية جرت عليه، ويحتمل

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٣.
(٢) سورة النمل: الآية ١٤.
(٣) سورة الماعون: الآية ٧.
(٤) سورة الدخان: الآية ٤٩.
(٥) سورة العلق: الآية ٩، ١٠.

أن ذلك وضع لصيغة المبالغة موضع غيرها تنبيهاً على أن كلّ كافر تنتهي حاله في الكفر والمنع إلى المبالغة، أو تنبيهاً على أن كفار العرب المخاطَبين بهذا الخطاب كانوا كذلك.

قوله عز وجل: ﴿**قال قرينُهُ**﴾ المراد به قرينه الشيطاني الجاري منه مجرى الدم، الموسوس ﴿**ربَّنا ما أطغَيْتُهُ**﴾ أي ما حملته على الطغيان ﴿**ولكن كان في ضلالٍ بعيد**﴾ ﴿٢٧﴾ أي عن الهدى وقبول الحقّ، أي طبعه الشرير كان يغنيه عن إطغائي له.

﴿**قال**﴾ يعني الله عز وجل ﴿**لا تَختصموا لديّ**﴾ أي عندي، أو بين يدي، وهذا يقال لكل إنسان وقرينه، فلذلك جمع الضمير في (تختصموا) ﴿**وقد قدَّمْت إليكم بالوعيد**﴾ ﴿٢٨﴾ أي تقدمت أو بادرت إليكم به، ويحتمل زيادة الباء، أي قدّمته إليكم، والمعنى أن هذا معنى الانتقام، لا وقت الخصام، ويحتمل أن هذا إشارة إلى خصومة النفس والجسد، فتقول الروح: إن الجسد كان مركبي إلى المعصية ولا ذنب لي، ويقول الجسد: إنما أنا جماد لولا الروح، فنضرب لهما مثل أعمى صحيح حمل مقعداً بصيراً حتى اقتطف ثمرة فأكلاها جميعاً، هل الدَّرَك[1] عليهما؟ فيقولان: نعم، فيقال: قضيتما على أنفسكما، وحينئذ يقال: لا تختصما، لأن الحكم يقطع الخصام.

﴿**ما يُبَدَّل القولُ لديَّ**﴾ أي قولي الذي تقدّم بوعيد العصاة لا يبدّل ولا أُخلفه، والمعنى أن قولي محفوظ عندي من التبديل

(١) الدرك: التبعة.

والخلف ﴿ولا مُبَدّل لكلماتِ الله﴾[1] ﴿وما أنا بظلّام للعبيد﴾ (٢٩) يحتمل أن المراد أنّي لا أظلمهم سوء عاقبتهم بذنب أو غيره، لأنهم ملكي، ولي التصرّفُ فيهم بكلّ حال، ويحتمل أن المراد أنّي لا أظلمهم فأعذّبهم بغير ذنب، ويكون هذا خارجاً مخرج العرف: من أن العقوبة بغير ذنب ظلم، أما كونه عزّ وجلّ قال: ﴿وما أنا بظلّام﴾ ولم يقلُ «بظالم» فنفى الظُلامة التي هي أخصّ دون الظالمية التي هي أعمّ، وقد كان نفيها أبلغ في نفي الظلم، فيحتمل وجوهاً: **أحدها**: أنّه وضع ظلَّاماً موضع ظالم، لأن لفظ الآية به أعدل وأقرب إلى تناسب أجزاء الكلام. **الثاني**: لعل ذلك خرج ردّاً على من زعم أن الله عز وجل ظلّام للعبيد بهذه الصيغة، فنفى الله عز وجل ما أثبته ذلك القائل بصيغته. **الثالث**: لعلّه إشارة إلى أن من عاقب عبده بغير جناية ظلّام له مبالغ في الظُلم، والله عز وجل لا يفعل ذلك، فليس ظلَّاماً كغيره[2].

قوله عز وجل: ﴿يومَ نقولُ لجهنَّمَ هل امتلأتِ﴾ الآية، الظرف متعلق بمضمون هذه الجملة[3]، أي يكون ما ذكرناه من الحساب والخصام والشهادة في هذا اليوم: يوم نقول لجهنّم هل امتلأت، هذا فيه إشكال، لأن هذا الاستفهام لا يجوز أن يكون على أصله في الاستخبار، لأن الإله جلّ جلاله لا يخفى عنه شيء

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

(٢) ينظر القرطبي ١٥/٣٧٠، والبحر ٣/١٣١.

(٣) ينظر الدر المصون ٧٥ ب.

حتى يستفهم عنه، ولا يجوز أن يكون تقريراً، أي قد امتلأت، لأنها لو امتلأت لم تسأل المزيد.

وحلُّ هذا الإشكال بالتزام القسم الثاني، وهو أنّه تقرير، غير أنها امتلأت امتلاء لا يمنعها من احتمال الزيادة، كأول مراتب الشبع لا يمنع من قبول لقمة وعشر، ونحو ذلك[1]. **﴿وتقول﴾** يعني جهنم تقول: **﴿هَلْ مِنْ مَزِيد﴾** (٣٠) يعني من العصاة الذين يُلْقَون فيها، أي زيدوني، تغيّظاً وحنقاً عليهم، وغضباً لله عزّ وجلّ على مَن عصاه ﴿إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سَمِعوا لها تغيّظاً وزَفيراً﴾[2] الآيتين.

قوله عز وجل: **﴿وأُزْلِفَتْ﴾** أي قُرِّبَت **﴿الجنّةُ للمتّقين﴾** لأجلهم ليدخلوها **﴿غيرَ بعيد﴾** (٣١) يحتمل هذا البعد أن يكون مكانياً، وأن يكون زمانياً، ومحل ﴿غير بعيد﴾ النصب نعتاً لمصدر محذوف، أي أُزلفت إزلافاً، أو قرّبت تقريباً غير بعيد، أو حالاً تقديره: قربتْ حال كونها غير بعيدة عنهم، ويفيد المبالغة في تقريبها لهم[3].

**﴿هذا﴾** أي ويقال لهم: **﴿هذا ما تُوعَدون﴾** أي ما وُعدتم، أو كنتم توعدون، أو لوحظ فيه حال الخطاب فجرى على الاستقبال، لأن إزلاف الجنّة بالنسبة إلى حال نزول القرآن مستقبل

---

(١) ينظر القرطبي ١٨/١٧، والبحر ١٢٧/٨، والدر المصون ٧٦ أ.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١٢. وربما أراد بالآيتين: هذه، وقوله تعالى في سورة الملك: الآية ٨ **﴿تكادُ تَمَيَّزُ من الغيظ...﴾**.

(٣) ينظر العكبري ٢٤٢/٢، والبحر ١٢٧/٨، والدر المصون ٧٦ أ.

﴿لكلِّ﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، أي هذا لكلّ ﴿أوّابٍ﴾ رجّاع عن معصية الله إلى تقوى الله عز وجل ﴿حفيظٍ﴾ ﴿٣٢﴾ حافظ لنفسه عن المعصية. ﴿والذين هم لِفُروجِهِمْ حافِظون﴾[1] أو يكون المراد حافظ لعهد الله عز وجل ووصاياه ﴿والحافظونَ لحدودِ الله وبشِّرِ المؤمنين﴾[2].

﴿مَنْ خَشِيَ الرحمٰن بالغيب﴾ هذا نعت لـ ﴿حفيظ﴾ أي لكلّ أوّاب حفيظ خاشٍ لله[3]، ومعنى خشية الرحمٰن بالغيب مراقبته حال عدم معاينة الإنسان له، لأن الغيب لا يثبت بالإضافة إلى الله عز وجل، إذ لا يغيب عنه شيء، وإنما يثبت بالإضافة إلى العبد، «اعبدِ الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4] والباء ظرفية. أي يخشاه في حال الغيب. ﴿وجاءَ﴾ يعني ربّه ﴿بقلبٍ منيب﴾ ﴿٣٣﴾ راجع إلى طاعته عن معصيته نحو ﴿إلّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم﴾[5] من الكفر، ونحوه ﴿إذ جاء ربَّه بقلبٍ سليم﴾[6].

﴿ادخلوها﴾ أي يقال لهم: ادخلوها، يعني الجنّة ﴿بسلام﴾

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٢.

(٣) قال العكبري ٢/٢٤٢: ﴿من خشي﴾ في موضع رفع، أي: هم من خشي، أو في موضع جرٍّ بدلاً من ﴿المتّقين﴾، أو ﴿من كلّ أوّاب﴾ أو في موضع نصب، أي: أعني من خشي، وقيل ﴿من﴾ مبتدأ والخبر محذوف تقديره: يقال لهم ادخلوها. وينظر البحر ٢/١٢٧.

(٤) البخاري ـ الإيمان باب ٣٧ ـ ١/١١٤، ومسلم ـ الإيمان باب ١ ـ ١/٣٧.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

(٦) سورة الصافات: الآية ٨٤.

أي مُسَلَّماً عليكم من أهلها والملائكة الذين فيها ﴿والملائكةُ يَدخلون عليهم من كلِّ باب. سلام عليكم﴾[1] أو ادخلوها سالمين من نكد دخولها من منعٍ وتبرُّم ونحو ذلك. ﴿ذلك﴾ أي ذلك اليوم ﴿يوم الخُلود﴾ ﴿٣٤﴾ أضيف إلى الخلود لأنّه مبدؤه وأوّل مدّته، والمراد باليوم الوقت، والخلود: البقاء الدائم غير المنقطع، ويستعمل في المقام الطويل وإن انقطع كبقاء الجبال، ولذلك سمّيت خوالد[2]، ولعل العرب سمّتها بذلك لاعتقاد دوامها وعدم زوالها.

﴿لهم﴾ ولم يقل لكم، إما لأنّه التفات عن الخطاب إلى الغيبة، أو لأنّه راجع إلى المتّقين وهو الصواب، والالتفات لا يتحقّق ﴿ما يشاءون﴾ أي الذي يختارون ويريدون ممّا يصلحهم ﴿فيها﴾ أي في الجنة. ﴿ولدينا﴾ أي عندنا ﴿مَزيد﴾ ﴿٣٥﴾ قيل المزيد هاهنا رؤية الحق جلّ جلاله[3]، كما في قوله عز وجل: ﴿للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[4] وفيه نظر؛ لأن الرؤية مما يشاءون فكيف تكون زيادة عليه، وقد يجاب عن هذا بأن الرؤية وإن كانت مما يشاءون لكن خُصّ بالذكر تشريفاً له، من باب عطف الخاص على العام، والمختار في المزيد ها هنا أن المشار إليه بقوله عز وجل: ﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرّةِ

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٣، ٢٤.

(٢) ينظر القاموس ـ خلد.

(٣) الطبري ٢٦/١٠٩، والقرطبي ١٧/٢١، والدر المنثور ٦/١٠٨.

(٤) سورة يونس: الآية ٢٦.

أعين﴾[1] وذلك لأن الله عزّ وجلّ يعلم لهم من الملاذ والمنعة وقُرّة الأعين ما يخرج عن مشيئتهم، لأنهم لا يَعلمونه، فيُعلمهم الله عز وجل به ويثيبهم عليه، فيكون مزيداً على ما يشاءونه لأنّه خارج عن مشيئتهم وعلمهم.

قوله عز وجل: ﴿**وكم أَهْلَكْنا قبلَهم مِنْ قَرْنٍ**﴾ أي من أمّة ﴿**هم أَشَدُّ منهم بَطْشاً**﴾ أي قوة وأثراً، والبطش: أثر القوّة. والقرن مفرد من حيث اللفظ، جمع من حيث المعنى، وبهذا الاعتبار قال ﴿هم﴾ ولم يقل هو أشدّ. ﴿**فنقَّبُوا في البلاد**﴾ يحتمل وجوهاً: **أحدها**: نَقْب البيوت في الجبال ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيُوتاً﴾[2]. **الثاني**: السفر في البلاد سفراً بليغاً حتى كأنّهم وقفوا على نقابها وغيرانها. **الثالث**: البحث عن الأخبار بالسفر في البلاد[3] ﴿**هل من مَحِيص**﴾ ﴿٣٦﴾ أي فلم يكن لهم محيص، أي فاسألوا هل كان لهم من محيص، فإنكم لا تخبرون بذلك، والمحيص: المَخْلَص أو الخلاص، من حاص يحيص: إذا وجد مخلصاً.

قوله عز وجل: ﴿**إنّ في ذلك لذكرى لمَنْ كان له قلبٌ**﴾ الآية. أي في إهلاك القرون الماضية وما ذكر من أحوال الآخرة ﴿ذكرى﴾ تذكر وموعظة ﴿لمن كان له قلب﴾. كان لها أقسام: ناقصة، وتامة، وزائدة، وبمعنى صار، وذات ضمير الشأن، وقد

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٢.

(٣) ينظر القرطبي ١٧/٢٣، والبحر ٨/١٢٩.

وجّهت للأقسام في هذه الآية[1]، والمراد بالقلب حقيقة، لأنّه محلّ الفهم والوعي، وقيل: المراد العقل، لأن القلب محله عند قوم، وقيل: محلّه الدماغ عند آخرين، والقولان منصوصان عن أحمد والشافعي، والخلاف أيضاً بين الفلاسفة في ذلك، والأشبه أن محلّه الدماغ[2]. ﴿أو ألقى السمعَ﴾[3] أي استمع وقلبه شاهد حاضر، لأن من استمع وقلبه غائب لم ينتفع وكأنه لم يستمع. وقوله عز وجل: ﴿ألقى السمع﴾ استعارة بليغة، لأنّه شبه إصغاء السمع بإلقاء الدلو لإخراج الماء، تنبيهاً على أن المستمع ينبغي أن يكون كذلك، حرصاً على الفائدة.

قوله عز وجل: ﴿ولقد خلَقْنا السمواتِ والأرضَ﴾ الآية، نزلت بسبب قول اليهود: إن الله عزّ وجلّ لمّا أكمل خلقه يوم الجمعة استراح يوم السبت[4] والاستراحة تشعر بتقدّم التعب، فردّ اللَّهُ عزّ وجلّ عليهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد خَلَقْنا السمواتِ والأرض وما بينهما في ستّة أيّام وما مسَّنا من لُغوبٍ﴾ (٣٨) أي من تعب، وعكسه غُلوب من الغلبة، ومن تعب غُلب على حركته، فالمادّتان تلتقيان على هذا المعنى، وربما زعم بعضهم أن النَّصَب تعب القلب، واللُّغوب تعب البدن، ومنه ﴿لا يمسُّنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها لُغوب﴾[5].

---

(١) نقل ابن هشام في المغني ٦١٧ جواز الأوجه الثلاثة في هذه الآية، وجعل الزيادة أضعف الثلاثة.

(٢) ينظر القرطبي ١/٣٧٠، ٣٧١.

(٣) تمام الآية ٣٧: ﴿أو ألقي السمع وهو شهيد﴾.

(٤) الطبري ٢٦/١١١، والقرطبي ١٧/٢٧، والدر المنثور ٦/١١٠.

(٥) سورة فاطر: الآية ٣٥.

قوله عـز وجل: ﴿فـاصْبِـرْ على مـا يقولـون﴾ هذا خـطاب للنبي ﷺ، والضمير في ﴿يقولون﴾ لليهود المذكورين، أو الكفار، أو للجميع، وهو أولى، لأن جميعهم كانوا يُسمعونه من الأذى ما يحتاج إلى الصبر عليه ﴿وسبِّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبلَ الغروب﴾ ﴿٣٩﴾ أي صلِّ في هذه الأوقات، والتسبيح يطلق على الصلاة لاشتمالها عليه في الركوع والسجود، واشتراكهما في معنى التنزيه، وقد وافقت هذه الآية قوله عز وجـل: ﴿واستَعِينوا بالصبر والصلاة﴾[1] في التوجه إلى الله عز وجـل بهما، و﴿قبـل طلوع الشمس﴾ صلاة الصبح و﴿قبل الغروب﴾ الظهر والعصـر ﴿ومن الليل فسبِّحه﴾ أي بعض الليل سبّحه، فهي للتبعيض، أو اجعل الليل مبـدأ تسبيحك، فهي لابتداء الغاية، والأول أشبه، وتسبيح الليل المراد هنا صلاة المغرب والعشاء، فاستوفت الآية الصلوات الخمس ﴿وأدبار السُّجود﴾ ﴿٤٠﴾ إشارة إما إلى التسبيح عقيب الصلاة، إذ كان التسبيح الأول هو نفس الصلاة، أو إشارة إلى صـلاة التطوّع[2]، وفي الحـديث الصحيح: «إنكم سترون ربَّكم كما ترون القمر ليلةَ البدر، لا تضامّون في رؤيتـه، فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صـلاة قبل طلوع الشمس وصـلاة بعد غروبها فافعلوا»[3] وصلاة الفجر والعصر يجتمع فيهما ملائكة الليل

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٥.

(٢) الطبري ١١٢/٢٦، والقرطبي ٢٤/١٧، والدر المنثور ١١٠/٦.

(٣) البخاري ـ مواقيت الصلاة باب ١٦ ـ ٣٣/٢، ومسلم ـ المساجد باب ٣٧ ـ ٤٣٩/١.

والنهار، فلهما مزية على غيرهما، ولهذه الآية نظائر في جمع مواقيت الصلاة في «سبحان» و «طه» و «الروم»[1].

قوله عز وجل: ﴿**واستمع يوم يناد المنادي**﴾ هو إسرافيل حين ينفخ في الصور وهو الداعي الذي يدعو إلى شيء نُكُر: أي تنكره القلوب وتضطرب له ﴿**من مكان قريب**﴾ ﴿٤١﴾ أي لشدّة ندائه هو قريب من كلّ أحد بحيث يسمعه، ويحتمل أن المراد بالمنادي الله عزّ وجلّ حيث ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب كما ورد في الصحيح[2]، والأول أولى، وفي معنى ﴿**استمع**﴾ احتمالان: **أحدهما**: استمع يا محمد هذا الكلام، وهو أن ينادى هو يوم الخروج، كما تقول لصاحبك: اسمع كلامي يوم تقدم عليّ هو يوم عيدي، أو نحو ذلك. **الثاني**: استمع في ذلك اليوم نداء المنادي، فإنك ترى من حال الكفار

---

(١) قال تعالى في سورة «سبحان» الإسراء ٧٨ ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل...**﴾ وقال عزّ وجلّ في سورة طه: الآية ١٣٠: ﴿**... سبح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلّك ترضى**﴾. وقال سبحانه في سورة الروم: الآيتان ١٧، ١٨: ﴿**فسبحان الله حِينَ تُمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض وعشيّاً وحين تظهرون**﴾.

(٢) في صحيح البخاري - كتاب التوحيد باب ٣٢ - ١٣/٤٥٣: (**يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قُرب: أنا الملك، أنا الديان**).

عجباً، فيوم ينادي ظرف للاستماع على هذا الوجه دون الأول[1].

﴿يومَ يسمعون الصيحة﴾ بدل من ﴿يوم ينادي المنادي﴾[2] ﴿بالحقّ﴾ بالعرض على الله عز وجل، أو غير مطلق من تسماعها وترويعهم بها ﴿ذلك﴾ يعني اليوم ﴿يوم الخروج﴾ ﴿٤٢﴾ أي خروج الأموات.

﴿إنا نحن نُحيي ونُميت﴾ هذا كلام في غاية التأكيد مثل ﴿إنك أنت الأعلى﴾[3] والنون في نميت ونحيي للعمظة، لأنهما فعلان عظيمان لا يصدران إلّا عن عظيم. واعلم أن الله عزّ وجلّ تارة يعبر عن نفسه بنُون العظمة تنبيهاً على عظمته، وتارة بدونها إشارة إلى توحيده وتفرّده واستغنائه عن معين وظهير. و﴿نحيي ونميت﴾ إن قصد به التريب فالمراد الحياة الأولى، وهي الوجود بعد العدم، والموتة الأولى، وهي هذه العامة، وإن لم يرد الترتيب فالمراد الموت والبعث، وقد لا يكون المراد شيئاً من ذلك، بل الإخبار بالقدرة على الإحياء والإماتة ﴿وإلينا المصير﴾ ﴿٤٣﴾ المرجع ﴿ثم إلينا تُرْجَعُونَ﴾[4] ﴿وإلى الله تُرْجَعُ الأمور﴾[5] والمصير مصدر بمعنى الصيرورة.

قوله عز وجل: ﴿يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً﴾[6] الآية.

---

(١) ينظر الطبري ٢٦/١١٤، والقرطبي ١٧/٢٧، والبحر ٦/١١٠.

(٢) العكبري ٢/٢٤٣، والدر المصون ٧٧ أ.

(٣) سورة طه: الآية ٦٨.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٥٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٠.

(٦) تمام الآية ٤٤: ﴿يومَ تشقّقُ الأرض عنهم سراعاً ذلك حَشْرٌ علينا يسير﴾.

التشقّق: التصدّع. السّراع: العجال. والحشر: الجمع. واليسير: السهل. والمعنى: إلينا المصير في هذا اليوم، أو أنها بدل من ﴿يوم ينادي المنادي﴾ يعني في هذا اليوم تشقق الأرض - وهي القبور عنهم - فيخرجون سِراعاً ﴿يومئذ يصدُرُ النـاسُ أشتاتـاً﴾[1] ﴿مُهْطِعين إلى الداعي كـأنّهم إلى نُصُب يُوفِضـون﴾[2] والإخبار بيسارة الحشر مناقضة للكافرين الزاعمين صعوبته وإطالته.

قـولـه عـز وجـل: ﴿**نحن أعلم...**﴾[3] الآيـة. الجبّـار: المسلّط المستدعي الطاعة بطريق الجبر وهذا معنى ﴿لستَ عليهم بِمُسَيْطِر﴾[4] ثم يحتمل نسخه بآيـة السيف[5]، ويحتمل بقـاءه، ويكون من باب التهديد لهم. والمعنى: نحن أعلم بقولهم وفعلهم من الفعل والأذى، وسنجازيهم على ذلك، وإنما عليك البلاغ.

﴿**فـذكّر بـالقرآنِ مَنْ يخـاف وعيد**﴾ (٥٥) أي إن الـذين تذكّرهم بالقرآن ضربان: قاسي القـلب شديد التمرّد، وليّن القلب سريع الانقياد خائف من وعيد الله عز وجل، فذكِّر الناس بالقرآن لتحصيل إيمان هذا الضرب من الناس، أو يكون المراد بـ ﴿من يخاف وعيد﴾ المؤمنين مثل: ﴿وذكِّر فإنّ الذكرى تنفـعُ المؤمنين﴾[6].

* * *

---

(١) سورة الزلزلة: الآية ٦.

(٢) سورة القمر: الآية ٨.

(٣) تمام الآية: ﴿**نحنُ أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبّار فذكّر...**﴾.

(٤) سورة الغاشية: الآية ٢٢.

(٥) وهي قـوله تعـالى في سورة التـوبة: الآيـة ٥: ﴿**فاقتلوا المشـركين حيث وجدتموهم**﴾. ينظر نواسخ القرآن ٤٧٠، والقرطبي ١٧/٢٨.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٥٥.

هذا آخر ما أردناه من تفسير هذه السورة الكريمة، وقد اشتملت على مطالب شريفة، كالدليل على التوحيد، وعلى البعث، وعلى أحكام اليوم الآخر بضرب من التفصيل، وأشباه ذلك ممّا ذُكر.

* * *

أنهاه إملاءً العبدُ الفقير إلى الله عز وجل سليمان بن عبدالقوي البغدادي عشية الأحد، سابع عشر رجب الفرد بسجن رحبة باب العبد من القاهرة، سنة إحدى عشرة وسبعمائة، حامداً الله عز وجل، مصلياً على رسوله عليه السلام.

(*) وفي آخر المخطوطة: نقله من خط مؤلفه المذكور أفقر عباد الله وأحوجهم إليه محمد بن عبدالوهاب بن محمد غفر الله له ولمن ألفه، ولمن نظر فيه، ودعا لهم بالرحمة والمغفرة، ولجميع المسلمين. آمين آمين آمين.



# تفسير سورة القيامة

ترتيبها ٧٥ — سُورَةُ القِيَامَةِ — آياتها ٤٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ
ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ
يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ
أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ
يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ
وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾
كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ

وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾





## [بسم الله الرحمٰن الرحيم][1]

الحمد لله ربّ العالمين. نذكر في هذا الإملاء تفسير سورة القيامة:

قوله عزّ وجلّ: ﴿لا أُقْسِمُ بيوم القيامة﴾ ﴿١﴾ قد تكرّرت هذه الصيغة في القسم، وفيه احتمالان:

**أحدهما**: زيادة (لا) كما هي في: ﴿ما منعك ألّا تَسْجُدَ﴾[2].

وما ألوم البيض ألّا تسخرا

**الثاني**: أن تكون على أصلها نافية، أي لا أقسم بيوم القيامة، بل بما هو أعظم منه، وهو ربّه عزّ وجلّ أو صفاته[3]، وقد ذكرنا هذا في موضع آخر في: ﴿لا أقسم بالشفق﴾[4]، والقسم: الحلف، كأن الحالف يقسم الموجودات إلى مخلوق به وغيره.

---

(١) تكملة من المحقق. وفي المخطوطة: (قال الشيخ الإمام العلامة سليمان بن عبد القوي البغدادي الحنبلي رحمه الله تعالى: الحمد لله...).

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٣) ينظر الفراء ٣/٢٠٧، والطبري ٢٩/١١٨، والمشكل ٢/٤٢٨، والقرطبي ١٩/٩١، والعكبري ٢/٢٧٤، والبحر ٨/٣٨٤، والدر المصون ١٧٦ ب.

(٤) سورة الانشقاق: الآية ١٦.

واليوم في الحقيقة: ما بين طلوع الفجر أو الشمس وغروبها، والمراد به ها هنا وقت قيام الساعة، وقد ورد الشرع بتسميته يوماً على طوله[1]، وذكر الفقهاء أنه لو قال لها: أنت طالقٌ يوم يقدم فلان، فقدم ليلاً حنث إن أراد باليوم الوقت، وإلاّ فلا.

والقيامة: كأنها واحدة القيام، لأن الناس يقومون لربّ العالمين قَومةً واحدة حتى ينفصل أمرهم.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ولا أُقْسِمُ بالنَّفْس اللوَّامة﴾** ﴿٢﴾ النفوس ثلاث: مطمئنة لفعل الخير: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾[2] وأمّارة: ﴿إنّ النفسَ لأمّارةٌ بالسُّوءِ﴾[3] ولوّامة، وهي هذه، إما لأنّها تلوم صاحبها على فعل السوء، أو لأنها تتلوّم فيما تفعل، أي تتثبّت، ومنه قول عنترة:

.................. ... لأَقْضِي حاجةَ المُتَلَوِّمِ[4]

وهل هذه نفوس متعدّدة أو قوى للنفس الواحدة، فيه تردّد، والآخر أشبه. وإنما أقسم بالنفس اللوّامة لأنها لتثبّتها في أفعالها ولومها على ما لا ينبغي صارت محترمة عظيمة القدر، لها من الوقع ما للناهين عن المنكر ونحوهم.

---

(١) في آيات عدّة، كقوله تعالى ـ سورة البقرة: الآية ٤٨: **﴿واتّقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً﴾** وفي سورة الحج ٤٧: **﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة ممّا تعدّون﴾**.

(٢) سورة الفجر: الآية ٢٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٤) البيت من معلقته، ديوان ١٨٤، وتمامه:

فوقفت فيها ناقتي، فكأنّها فدن ..............

**والفدن**: القصر.

قوله عز وجل: ﴿أيحسَب الإنسـان أن لن نَجْمَعَ عِـظامَه﴾ ﴿٣﴾ هذا استفهام إنكار على منكري البعث، أي: أيظنّ الإنسان، يُراد[1] به صنف الكفار المنكرين للبعث ﴿أنْ﴾ فيها ضمير شأن مقدّر، أي أنه أو أننا لن نجمع عظامه بعد تبدّدها وانفصالها، وفيه تنبيه على إثبات الجوهر الفرد وانحلال الأجسام إليه، ولولا ذلك لقيل: أن لن نُعيد، أو نخلق عظامه.

﴿بلى﴾ كلمة إيجاب بعد النفي ﴿قـادِرين﴾[2] أي بلى نجمعها قادرين حالَ أي حال قدرتنا على تسوية بنـانه[3]، وهي حال عامة؛ لأن قدرة الله لا يخلو منها وقت، ثبت ذلك بالدليل، ويقال: إن أصل ﴿بلى﴾ بل، زيدت عليها الألف ليتمّ الوقوف عليها[4]، والبنان: رءوس الأصابع. وتسويته: نهايـة الخلق. وسوّاه: أعاد تركيبه كما كـان أول مرة على صفـة السواء، يعني العـدل والاستـواء. وجـواب القسم محـذوف دلّ عليـه سيـاق الكـلام، تقديره: أقسم بيوم القيامة لنجمعَنَّ الإنسان ولنسوينّ بنانه[5].

قوله عـز وجل: ﴿بـل يُريـدُ الإنسانُ لِيَفْجُـرَ أَمامَـه﴾ ﴿٥﴾ الفجـور: الفُسوق، وأصله الميـل عن الحق أو خرقـه وصـدعـه كانصداع الفجر. والمعنى: إن الإنسان المنكر للبعث بعد قيـام

---

(١) في الأصل: (أيظـن الإنسان أن يراد...).

(٢) تمام الآية الرابعة: ﴿بلى قادرين على أن نسوّي بنانه﴾.

(٣) الطبري ٢٩/١١٠، والمشكل ٢/٤٢٩، والعكبري ٢/٢٧٤، والبحر ٨/٣٨٥.

(٤) المغني ١٢٠.

(٥) البحر ٨/٣٨٤.

براهينه لا يخفى عليه إمكانه، بل هو يريد إشعار نفسه بعدم البعث ليرسلها في الفجور أمامه فيما بقي من عمره. وهذا هو سبب استرسال الملاحدة من القرامطة وغيرهم في الظلم والفجور.

﴿يَسْأَلُ﴾ يعني الإنسان ﴿أَيَّانَ يومُ القيامة﴾ (٦) «أيان» ظرف زمان، أصله: أيّ أوان، فخُفّف وأُدغم ورُكّب. والمعنى: يسأل سؤال استهزاء أو تكذيب بها: ﴿يسألك الناسُ عن الساعةِ قُلْ إنّما عِلمُها عندَ ربّي﴾[1] و﴿متى هو قل عسى أن يكون قريباً﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿فإذا بَرَقَ البَصَر﴾ (٧) الآيات، لما استهزأ بها الإنسان وكذّب بوقوعها أخذ الله يتوعّده بها، ويذكر صفاتها ثم يبرهن على وقوعها آخر السورة أي: فإذا برق البصر وجدت بقية أماراتها المذكورة، صدّق الإنسان المكذّب بها، ثم وقع في ورطتها وقوعاً لا مفرَّ منه. وبرِق البصر يبرَق، وزن ركب يركب: إذا شخص لاشتداد ظهور بريقه بذلك، وهذا الشخوص يكون عند الموت لمعاينة الملائكة، وعند القيام من القبور لمعاينة أهوال الساعة: ﴿خاشعةً أبصارهم يخرجون من الأجداث﴾[3].

﴿وخسَفَ القمر﴾ (٨) ذهب نوره كما تكون الشمس. ثم خسوف النيِّرين يحتمل أنه بسببه في الدنيا تقديراً من الله

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥١.

(٣) سورة القمر: الآية ٧.

عز وجل، ويحتمل أن يكون لاضطراب أحوال الأفلاك بانشقاق أحوال السماوات وطيّها وتبديلها. ويحتمل غير ذلك.

﴿وجُمع الشمسُ والقمر﴾ ﴿٩﴾ يحتمل أن يجمعا في فلك واحد كما تدنو الشمس مقدار ميل[1]، أو ينفصلان من مركزيهما ويكوّران في النار كما ورد في الحديث[2].

﴿يقول الإنسانُ يومَئذٍ أين المَفَرّ﴾ ﴿١٠﴾ هذا جواب: ﴿إذا برِق البصر﴾ والإنسان هنا هو الإنسان المذكور أولاً، وهذا يردّ قول من زعم أن الاسم إذا تكرّر معرفة دلّ على التغاير. و﴿يومئذ﴾ أصله: يوم إذ يُجمع الشمس والقمر، أو: يوم إذ ذاك، فعوّض عن الجملة المضاف إليها التنوين.

﴿أين المَفَرّ﴾ حكاية قول الإنسان، والمَفَرّ: موضع الفِرار: أي تضيق به المذاهب لشدّة الأمر، فلا يدري أين يفرّ، فيسأل حقيقة أو بلسان الحال: أين المفرّ، أي لو كان وقت سؤال عن المفرّ لسأل عنه، وهذا يشهد له قوله عزّ وجلّ: ﴿يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا...﴾[3] الآية. وذلك لضيق المذاهب وتعذّر المهرب عليهم، لإحاطة الملائكة بهم، واحتياطهم عليهم.

قوله عز وجل: ﴿كلّا لا وَزَرَ. إلى ربّك يومئذٍ المُسْتَقَرّ﴾ ﴿١١﴾، ﴿١٢﴾ ﴿كَلّا﴾ تستعمل ردعاً، أي كأنه يردع عن المفرّ: أي

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الجنة ـ باب ٦٢ ـ ٤٤/٢١٩٦.

(٢) ينظر الطبري ١١٣/٢٩، والقرطبي ٩٦/١٩، ٩٧، والدر المنثور ٢٨٨/٦.

(٣) سورة الرحمٰن: الآية ٣٣.

يمنع منه ويزجر عنه، فلا يقدر عليه، وفيها معنى التشفّي، أي يطلب المفرّ فلا يجده، وإن كان لها اشتقاق فمن الكُلول: كلّ السيفُ يكلّ: إذا وقف، وفي تعذّر المفرّ عليه معنى الكلول على ما هو بيّن. ﴿والوَزَر﴾ الملجأ، يقال: لا وزر ولا ملجأ ولا معاد ولا محيد ولا محيص، بمعنى، وكأن الوزر مأخوذ من معنى الأزر وهو الظهر: ﴿أُشْدُدْ بـه أزري﴾[1] وتكون واوه منقلبة عن همزة، قال الشاعر:

النّاس أَلْبٌ علينا فيك ليس لنا إلا السيوفُ وأطراف القنا وَزَرَ[2]

أي ملجأ. والمعنى: لا وزر للإنسان.

ثم استأنف الله عزّ وجلّ مخاطباً له: ﴿إلى ربّك﴾ أيها الإنسان ﴿المُسْتَقَرّ﴾ (١٢) أي موضع القرار: أي الجنّة أو النار، أو إلى حكم ربّك.

﴿يُنَبَّأُ الإنسانُ﴾ أي يخبر بما قدّم من عمله وأخّر[3]، يعني في أول عمل وآخر. ومثله: ﴿عَلِمَتْ نفسٌ ما قدَّمَتْ وأَخَّرَتْ﴾[4]، وفي هذا إشارة إلى أنّه محفوظ عليه عمله، غير مغفول عنه، ومنه: ﴿ثم يُنبّئكم بما كُنتم تعملون﴾[5] والمنبِّىء هو الله عز وجل لأنّه الحاكم المحاسب.

---

(١) سورة طه: الآية ٣١.

(٢) ورد البيت في الكتاب ١/٣٧١، وشرح المفصل ٢/٧٩، منسوباً لكعب بن مالك، وهو مفرد في ديوانه ٢٠٩. وورد دون نسبة في المقتضب ٤/٣٩٧. والبيت من قصيدة في ديوان حسان بن ثابت ٢٠٦.

(٣) تمام الآية ١٣: ﴿يُنَبَّأُ الإنسانُ يومئذ بما قدّم وأخّر﴾.

(٤) سورة الانفطار: الآية ٥.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٦٠.

قوله عزّ وجلّ: ﴿بل الإنسانُ على نفسه بصيرة﴾ ﴿١٤﴾ هذا إضراب يقتضي مُضرَباً عنه مقدّراً، دلّ عليه سياق الكلام، أي ليس الإنسان مهملاً سدى، بل هو بصيرة: أي شاهد ذو بصيرة على نفسه، يشهد عليها يوم القيامة ﴿يوم تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلهم﴾[1] ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾[2].

﴿ولو ألقى معاذيره﴾ ﴿١٥﴾ أي لو اعتذر بما أمكنه من المعاذير لم ينفعه مع شهادته على نفسه، وإلقاء المعاذير هنا كإلقاء السمع في سورة «ق» في بلاغة الاستعارة. والمعاذير جمع الجمع، يقال: عذر وأعذار ومعاذير، وإن سمع أو جاز مِعذار فمعاذير جمعه، نحو مِقلاد ومقاليد[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿لا تُحَرِّكْ به لسانَكَ﴾ الآية. الضمير للقرآن، كان جبريل عليه السلام ينزل به يلقيه إلى النبي ﷺ فيسابقه التلاوة حرصاً على حفظه، فقيل له: اسمعه ولا تبادر به جبريل، فإنّا سنُحفظكه، فتجتمع لك مصلحتا سماعه وتدبّره من جبريل، وحفظك إيّاه بإعانتنا لك عليه[4]، ونظيره ﴿سنقرِئكَ فلا تنسى﴾[5] و﴿لا تُحَرِّكْ به لسانَكَ﴾ أبلغ من: لا تبادر أو تنطق به على ما لا يخفى. ﴿لِتَعْجَلَ به﴾ ﴿١٦﴾ أي بحفظه.

---

(١) سورة النور: الآية ٢٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ١.

(٣) ذكر المِعذار في اللسان ـ عذر، والقرطبي ١٩/١٠٠، وينظر البحر ٨/٣٨٦، ٣٨٧.

(٤) ينظر البخاري التفسير سورة القيامة ٨/٦٨٠، والطبري ٢٩/١١٦، والدر المنثور ٦/٢٨٩.

(٥) سورة الأعلى: الآية ٦.

﴿إنّ علينا جمعه﴾ في قلبك ﴿وقرآنَه﴾ ﴿١٧﴾ أي قراءته، أي تيسيرك لها وإعانتك عليها.

﴿فإذا قَرَأْناه﴾ يعني رسولنا جبريل ﴿فاتَّبِعْ قُرآنَه﴾ ﴿١٨﴾ أي قراءته، أي تابع فيها جبريل. والقرآن مصدر كالقراءة، ومنه قول الشاعر:

ضَحَّوا بأشمطَ، عنوانُ السجودِ به    يقطِّع الليلَ تَسبيحاً وقُرآناً[1]

أي: وقراءة.

قوله عزّ وجل: ﴿ثم إنّ علينا بيانَه﴾ ﴿١٩﴾ البيان: إيضاح الإشكال، والقرآن فيه من المجمل والمتشابه ما يحتاج إلى الإيضاح، وفي الآية دلالة على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب[2]، وكذلك ﴿كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثم فُصِّلَتْ﴾[3] لأنّ ﴿ثم﴾ للتراخي، فاقتضى تراخي البيان والتفصيل، ومعنى ﴿علينا بيانه﴾ أي هو واجب منّا، لا أنّه واجب علينا، كقوله عزّ وجلّ: ﴿حقّ القولُ منّي﴾[4] ويجوز أن يكون معناه واجب علينا بالتزامنا كما يوجب الإنسان على نفسه بنذره.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كلّا﴾[5] قد سبق بيان معناها،

---

(١) البيت لحسان بن ثابت ـ ديوان ٢١٦، وتفسير غريب القرآن ٤٢.
وهو في عثمان بن عفان رضي الله عنه. والأشمط: الذي اختلط سواد شعره ببياض.

(٢) ينظر فتح الباري ٨/٦٨٣.

(٣) سورة هود: الآية ١.

(٤) سورة السجدة: الآية ١٣.

(٥) تمام الآية ٢٠: ﴿كلّا بل تحبّون العاجلة﴾.

والتقدير ـ والله عزّ وجلّ أعلم ـ أنه لا يخفى عليهم صدق القرآن مع وضوح البرهان، لكنّهم يؤثرون حبّ الدار العاجلة ـ وهي الدنيا ـ على الآخرة، فتغلبهم شهواتهم على الكفر، وهذا كما أن أبا بصير الأعشى الشاعر المسمّى بصناجة العرب، وفد على النبي ﷺ ليؤمن، فأُخبر أنّه يحرّم الخمر والزنا ـ وكان يحبّهما، فقال: أرجع فأتمتّع بهما سنة ثم أعود فأسلم، فعاد لذلك فمات في الطريق، فهذا شخص غلبته شهوته على الكفر بعد أن صرّح بالإيمان في قصيدته الدالية التي مدح بها النبي ﷺ[1].

﴿**وتَذَرُون الآخرة**﴾ ﴿٢١﴾ أي العمل لها والاعتناء بها، أو يعرضون عنها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وجوهٌ يومئذٍ**﴾ أي يوم وقوع ما سبق من الأمور ﴿**ناضرة**﴾ ﴿٢٢﴾ من النضارة وهي البهجة المستميلة للقلوب، ومنه: عيش نضير، وأخضر ناضر.

﴿**إلى ربِّها ناظرة**﴾ ﴿٢٣﴾ أي له رائية. والنظر إذا عُدّي بـ ﴿**إلى**﴾ اقتضى الرؤية في اللغة. وقالت المعتزلة: إنّما يقتضي تقليب آلة الرؤية نحو المرئي، ولا يلزم من ذلك الرؤية، بدليل قوله عز وجل: ﴿**وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**﴾[2] واعترضوا على الآية من وجوه: **أحدها**: إضافة النظر إلى الوجوه،

---

(١) ينظر الخبر في الشعر والشعراء ١/٢٥٧. والقصيدة المذكورة في ديوانه ١٧١ ـ ١٧٣، ومطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وعادك ما عاد السليم المسهّدا

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٨.

وليست محلّ الرؤية. **الثاني**: أن ﴿إلى﴾ ليس حرف جر، بل هو اسم بمعنى النعمة، وهو واحد الآلاء، والمعنى: وجوه ناظرة نعمةَ ربّها، منتظرة أو مشاهدة. **الثالث**: المعارضة بـ ﴿لا تُدركه الأبصار﴾[1].

وجواب الأول أنّ الوجوه محلّ آلة النظر، فلذلك أُضيف إليه، على أنّه يحتمل أن آلة النظر تصير في جميع الوجوه لتقوى على رؤية الربّ جلّ جلاله، وذلك الوقت حين خرق العادات، وتغيير البنية.

وجواب الثاني أن حمل ﴿إلى﴾ على الاسمية خلاف الظاهر المتبادر.

وعن الثالث أنه محمول على نفي الإحاطة، أو على حال الدنيا[2].

قوله عزّ وجلّ: **﴿ووجوهٌ يومَئِذٍ بَاسِرةٌ﴾** ﴿٢٤﴾ أي كالحة منقبضة، من: عبس وبسر **﴿تظنّ﴾** يعني الوجوه **﴿أن يفعل بها فاقرة﴾** ﴿٢٥﴾ **أي داهية** تكسر فِقار الظهر، إشارة إلى عظمها وشدّتها. والظنّ هنا بمعنى اليقين، لأنّه وقت العيان، نحو: ﴿فظنُّوا أنّهم مواقعوها﴾[3]، ومثله: ﴿ووجوهٌ يومَئذٍ مُسْفِرة﴾[4] الآية.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) ينظر الطبري ١٩٩/٧، والقرطبي ٥٤/٧، والدر المنثور ٣٧/٣، والبحر المحيط ٣٨٩/٨، والمشكل ٤٣٢/٢، والعكبري ٢٧٤/٢.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٣.

(٤) سورة عبس: الآية ٣٨.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كلاّ﴾ ردع للإنسان عن حسبانه عدم البعث كما سبق. ﴿إذا بلغت التراقي﴾ ﴿٢٦﴾ يعني الروح بلغت الحلقوم، والتراقي جمع ترقوة، وهي العظم الناتىء من جانبي اللَّبَّة.

﴿وقيل من راق﴾ ﴿٢٧﴾ أي من يرقي هذا المريض ويطبّه، من الرقية، كما يُرقَى اللديغ والمسحور، أي طلب الرقية للمريض لشدّة الأمر عليه[1].

﴿وظنّ﴾[2] يعني المريض ظنّ أن هذا الوقت وقت الفراق، يعني فراق الدنيا.

﴿والتفّت الساق بالساق﴾ ﴿٢٩﴾ يحتمل أمرين: أحدهما: التفاف إحدى الساقين بالأخرى عند الموت لشدّة الدبّ، والثاني: التفاقهما في المشي عند التعب والرواح إلى الموقف من الخوف والجزع. وعلى الوجهين ينبني ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ ﴿٣٠﴾ فعلى الأول مساق الروح إلى حكم الله عز وجل. وعلى الثاني مساق الإنسان إلى بين يديّ الله عز وجل في الموقف[3].

قوله عز وجل: ﴿فلا صدَّقَ ولا صلَّى﴾ ﴿٣١﴾ هذا تشنيع على الكافر، وبعضهم يقول: تقدير هذا: لم يصدّق ولم يصلِّ، لأن هذا نفي في الماضي، وحرفه «لم». و«لا» إنما ينفى بها

---

(١) وقيل: من يرقى بروحه، أملائكة الرحمة، أم ملائكة العذاب؟ الطبري ٢٩/١٢١، والقرطبي ١٩/١١١.

(٢) تمام الآية ٢٨: ﴿وظنّ أنه الفراق﴾.

(٣) الطبري ٢٩/١٢٢، والبحر ٨/٣٩٠.

المستقبل، ويمكن تخريجه على الظاهر بأن يجعل جواب سؤال مقدّر، كأنّ قائلاً قال: هذا الكافر هل صدّق أو صلّى؟ أو: هل كان يصدّق أو يصلي؟ فقيل: لا صدّق ولا صلّى، وهو كلام صحيح لا إشكال عليه.

وصدّق يحتمل أنه من الصدقة، ويحتمل أنّه من التصديق: وهو الإيمان[1]، وهو أصحُّ لوجهين: أحدهما ليجمع بين نفي أصل الإيمان وفرعه وهو الصلاة. والثاني: مقابلته بـ ﴿كذّب وتولّى﴾ أي كذب الإيمان وتولّى عنه وعن الصلاة وغيرها من أحكامه.

**﴿ثم ذهب﴾** أي بعد تولّيه عن الإيمان ذهب **﴿إلى أهله يتمطّى﴾** ﴿٣٣﴾ مرحاً، وأصله يتمطّط أي يختال ويتمدّد في مَشيه، وهي المِشية المُطيطاء المذكورة في الحديث[2]، فقلبت إحدى الطاءين ألفاً أو ياءً تخفيفاً، كما في «تقضّى البازي»[3] وبابه، وهذا قريب من قوله عز وجل: ﴿إنّه كان في أهله مسروراً﴾[4] لأن المطيطاء سببها المرح والسرور.

قوله عز وجل: **﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثم أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾** ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ هذا كلام يستعمل فيمن سلم من عَطَب أو نحوه،

---

(١) القرطبي ١٩/١١٣.

(٢) في الترمذي: «إذا مشت أُمّتي بالمطيطاء، وخدمها أبناء الملوك ـ أبناء فارس والروم سُلّط شرارها على خيارها»؟ قال الترمذي: حديث غريب. كتاب الفتن ٧/٣٩.

(٣) وذلك من قول العجاج:

دانى جناحَيه من الطّور فمَرّ    نقضي البازي إذا البازي كَسَرْ

وأصله تقضّض. ديوان الحجاج ٢٨، وإصلاح المنطق ٣٣٤.

(٤) سورة الانشقاق: الآية ١٣.

وتكريره تأكيد له، وأصله: هذا أولى لك: أي السلامة كانت أولى لك من العَطَب، أي لقد كدت تعطَب، ولكن كانت السلامة أولى لك، ثم هذا الكلام في من؟ يحتمل وجهين: أحدهما أنه في جانٍ مسامَح في الحساب، يقال له: سلمت من العذاب وكان ذلك أولى لك. الثاني: أنه في الكافر حين كان يتمطّى في الدنيا، أي سلمت من أن تعاجَل بالعذاب فيخسف بك لاختيالك، وكان ذلك أولى لك، كما ثبت في الحديث: «أن رجلاً كان ممّن قبلكم يمشي الخيلاء فخسف به، فهو يتخلخل في الأرض إلى يوم القيامة»[1] أما في الآخرة فالكافر لا يسلم حتى يقال له ذلك.

قوله عز وجل: ﴿أيحسبُ الإنسان أن يُتْرَكَ سُدى﴾ ﴿٣٦﴾ أي مهملاً لا رقيب عليه، ولا دائن، ولا مجازٍ له، إنكاراً لهذا الحسبان عليه.

وقد ذكر الله عزّ وجلّ من هنا إلى آخر السورة دليلين على البعث: أحدهما هذا، وتقديره أن الإنسان ومبدأه ومعاشه في غاية الحكمة والإتقان، ومن المحال عادةً أن ما هذه حاله يترك سدى لا يجازى على ظلم، ولا يؤخذ له ومنه بحق، لأن هذا الإهمال ينافي في الحكمة التي دلّ عليها مبدأ الخلقة، وإلى هذا أشار ابن عباس حين رأى أن ظالماً شديد الظلم مات ولم يصب من أهل ولا مال ولا غير ذلك، ولا أخذ منه بحقّ فقال: «أشْهَدُ أن للناس معاداً، يُؤخذ منه للمظلوم من الظالم» ملاحظة هذا الدليل.

---

(١) ينظر البخاري ـ اللباس ٢٥٨/١١، ومسلم اللباس ١٦٥٣/٣.

**الثاني** قوله عز وجل: ﴿**ألم يكُ نُطفة**﴾[1] الآية ٣٧

النطفة: القطرة من الماء، أو القليل منه، والمنيّ: ماء الإنسان ﴿يُمْنَى﴾ يُنزل، وأصله يقدّر ويقتطع، ومنه المنيّة لقطعها الآجال بحكم القدر. و «العلقة» قطعة دم يستحيل إليها المنيّ. و «الخَلق» الاختراع، أو التقدير. والتسوية: التهيئة للمراد كما سبق أول السورة والمعنى فخلقه فسوّاه، ولكن ترك الضمير لظهور إرادته، وليناسب الفواصل. وتقرير هذا الدليل بما سبق من اعتبار المعاد بالمبدأ، وقد سبق تقريره من طرق في العقيدة.

قوله عز وجل: ﴿**فَجَعَلَ منه الزَّوْجَين الذكرَ والأُنْثى**﴾ ٣٩

دليل على انحصار نوع الإنسان في الصنفين، وأن الخنثى ليس صنفاً ثالثاً، بل هو أحدهما، غير أنّه مبهم مشكل، ولذلك قد ينتهي أمره إلى اللحوق بأحدهما.

يقال: إنّ من ختم هذه السورة استُحبّ له أن يقول: اللهم بلى وآمنت، أي إنّك قادر على أن تحيي الموتى[2].

* * *

انتهى الإملاء على هذه السورة، وقد تضمّنت مطلب إثبات المعاد، والبرهان عليه، ورؤية الله عز وجل، وغير ذلك ممّا وقعت الإشارة إليه.

والله أعلم بالصواب

* * *

---

(١) تمام الآيتين ٣٧، ٣٨: ﴿**ألم يك نطفةً من منيّ يُمنى. ثم كان عَلَقَةً فخلق فسوّى**﴾.

(٢) آخر السورة: الآية ٤٠: ﴿**أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحْيِيَ الموتى**﴾.
ينظر الطبري ١٢٥/٢٩، والقرطبي ١١٧/١٩، والدر المنثور ٢٩٦/٦.

# تفسير سورة
# النبأ
# ﴿عمّ يتساءلون﴾

ترتيبها ٧٨ — سُورَةُ ٱلنَّبَإِ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾



## [بسم الله الرحمٰن الرحيم]
## الإملاء على سورة ﴿عمّ يتساءلون﴾

﴿عَمّ﴾ أصله عم ما: أي عن أي شيء ﴿يتساءلون﴾ (١) يعني الكفّار، فإنّهم كان يسأل بعضهم بعضاً ما هذا الذي أتى به محمد: أهو سحر أم جنون، وهم ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾[1] أي قسّموه أقساماً، وعضّوه أعضاء. وسقطت الألف من عمّ[2] كنظائرها: فيم، ولِمَ، وممّ، وعلام، وإلام، وحتّام[3].

﴿عن النبأ العظيم﴾ (٢) كلام مستأنف، أي يتساءلون عن النبأ العظيم: وهو القرآن. والنبأ: الخبر، والقرآن إخبار بأمور عظيمة: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾[4].

﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ (٣) كلّ منهم يقول شيئاً كما سبق قوله.

﴿كلاّ سيعلمون﴾ (٤) هي إمّا بمعنى حقاً كما قال بعضهم،

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩١.

(٢) في الأصل (عمّا).

(٣) المشكل ٢/٤٤٩، والبحر ٨/٤١٠.

(٤) سورة ص: الآية ٦٧.

أو أنها زجر لهم عن التساؤل عن القرآن، أي لا يتساءلون عنه، فإنّ أمره أظهر من أن يسأل عنه.

﴿ثمّ كلّا سيعلمون﴾ (٥) تأكيد بالتكرار. وفي سورة ﴿ألهاكم التكاثر﴾ وقع هذا بلفظ ﴿سوف﴾[1] وهي أشدّ تراخياً من السين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ألم نجعلِ الأرضَ مِهاداً﴾ (٦) هذا إنكار عليهم ترك النظر في هذه الأشياء الدالة على صانعها، وذلك يقتضي وجوب النظر على المكلّفين. ﴿قل انظروا﴾[2] ﴿أوَ لم يتفكّروا﴾[3]، ﴿أوَ لم ينظروا﴾[4] ونحو ذلك يدل عليه. (والمهاد) الفراش الوطيء الذي لا أذى في افتراشه. وجعلُ الأرض مهاداً: تصييرها كذلك، فإنها في أول خلقها كانت رابية مجتمعة لا يستقرّ الخلق عليها، فدحيت حتى صارت فراشاً وبساطاً ﴿لتسلكوا منها سُبُلاً فِجاجاً﴾[5].

قوله عز وجل: ﴿والجبالَ﴾ عطفاً على ﴿الأرض﴾ أي ونجعل الجبال ﴿أوتاداً﴾ (٧) أي نمسكها أن تميد، كما تمسك الأوتاد البيت أن يميل، وذلك لأن الله عزّ وجلّ لما خلق الأرض على الماء اضطربت ومادت، فخلق عليها الجبال فسكنت، فقالت الملائكة: ربّنا، هل خلقت شيئاً أشدّ من الجبال؟ قال: نعم،

---

(١) في الآيتين ٣، ٤: ﴿كلّا سوف تعلمون. ثم كلّا سوف تعلمون﴾.
(٢) سورة يونس: الآية ١٠١.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.
(٥) سورة نوح: الآية ٢٠.

الحديد يقطع الجبال. قالوا: فهل أشدّ من الحديد؟ قال: نعم، النار تذيب الحديد. قالوا: فهل أشدّ من النار؟ قال: نعم، الماء يطفىء النار. قالوا: فهل أشدّ من الماء؟ قال: نعم، الريح تنشّف الماء. قالوا: فهل أشدُّ من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدّق بيمينه فلا تدري شماله[1].

قوله عز وجل: ﴿وخَلَقْنَاكُم أزواجاً﴾ ﴿٨﴾ أي أصنافاً، العربيّ والعجمي ونحوهما، أو: خلقناكم ذكورا وإناثاً صالحين للازدواج، وفي ذلك نفع لكم ورحمة[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وجعلْنا نومَكم سُباتاً﴾ ﴿٩﴾ أي قاطعاً لتعبكم، ومحصّلاً لراحتكم، من قولهم سبت رأسه: إذا قطعه، ووجه الجعل فيه أن النوم قد يكون تغييباً وقطعاً للتعب وغير ذلك، فلما جعل موضوعه قطع التعب صار ذلك جعلاً وتصييراً ونقلاً[3].

قوله عز وجل: ﴿وجعلْنا النهارَ معاشاً﴾ ﴿١١﴾ أي محلاً للمعاش، ووجه الجعل فيه نحو ما سبق ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾[4].

---

(١) في فتح الباري ١٤٧/٢ أن في مسند الإمام أحمد مرفوعاً: (إن الملائكة قالت: يا ربّ، هل من خلقك شيء أشد من الجبال...).

(٢) قال مكي - المشكل ٤٥٠/٢: **﴿أزواجاً﴾** نصب على الحال، أي: ابتدعناكم مختلفي الألسنة والألوان وغير ذلك، وذكوراً وإناثاً، وقصاراً وطوالاً. وخلق بمعنى ابتدع فلذلك لا يتعدّى إلاّ إلى مفعول واحد.

(٣) لم يشرح المؤلف الآية العاشرة **﴿وجعلنا الليل لباساً﴾**.

(٤) سورة يونس: الآية ٦٧.

قوله عـز وجل: ﴿وبَنَيْنـا فوقَكم سَبْعـاً شِدَاداً﴾ ﴿١٢﴾ هي السماوات السبع. و ﴿شداداً﴾ جمع شديدة في البنـاء والارتفاع والصنعة والإتقان ﴿والسماء بَنَيْناها بأَيْدٍ﴾ وذكر الله عز وجل ها هنا الأرض قبل ذكر السماء، وفي «الذاريات» وغيرهـا بالعكس[1]، وقـد اختلف العلماء في أيهما خلق أوّلاً، على قـولين.

قوله عـز وجل: ﴿وجعلْنـا﴾ أي خلقنا ﴿سِـراجاً وهّـاجاً﴾ ﴿١٣﴾ يعني الشمس. والوهّاج: ذو الـوهج وهـو الحرّ، والـوهج والهـوج يلتقتان على معنى مشتـرك وهو الحـدّة أو نحوهمـا[2]، ويحتمل معنى الجعل في السـراج لصلاحيتهـا للإسـراج وغيره، فتخصيصها بالإسراج[3] فيه معنى النقل عن موضوع إلى موضوع.

قوله عز وجل: ﴿وأَنْزَلْنا من المُعْصرات ماءً ثجّاجاً﴾ ﴿١٤﴾ المعصرات: السحائب، واشتقاقها إما من العصر، لانعصار الماء منها، أو من قولهم: جارية مُعْصِر أي قاربت البلوغ، إشارة إلى قرب حدوث السحائب، فيكون غالباً أكثر ماء. والثّجّاج «فعّال» من الثجّ، وهـو الصبّ، وفي الحـديث: «خيـر الحـجّ العـجّ والثجّ»[4]. يعني صبّ الدماء وإسالتها لتخرج، أي أنـزلنا المـاء ﴿لنُخْرِجَ به حبّاً ونباتـاً. وجناتٍ ألفـافاً﴾ ﴿١٥﴾، ﴿١٦﴾ أي ملتفّ بعضها ببعض و ﴿ألفافاً﴾ يحتمل أنه جمع لِفّ، ويحتمل أنّه مفرد

(١) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٢) ينظر مقاييس اللغة ١٧/٦، ١٤٧.

(٣) في الأصل (بالإسراك).

(٤) في الترمذي ـ كتاب الحج ١٧٥/٣ أن النبي ﷺ سئل: أي الحج أفضل؟ فقال: «العجّ والثجّ» ومثله في ابن ماجه ـ المناسك ٩٧٥/٢.

من باب رمح أفصاد، وثوب أخلاق، وبرمة أعشار، وجنّة ألفاف. والخارج من الأرض إما شجر أو نبات، والنبات إما مقصود الحبّ أو لا، وقد جُمعت في قوله عز وجل: ﴿حبّاً ونباتاً﴾ أي غير ذي حبّ مقصود وجنات.

﴿**إنّ يومَ الفصل كان مِيقاتاً**﴾ ⟨١٧⟩ هذا تنبيه على الاستدلال بإخراج النبات من الأرض على البعث، لذكره في سياقه، و﴿يوم الفصل﴾ يوم يُفصل فيه بين الخلق. (والميقات) الوقت يُجمع فيه الخلق، ﴿وكان﴾ يعني في علم الله عز وجلّ، إذا كان بمعنى يكون، وعُبِّر عنه بصيغة الماضي إشعاراً بتحقق وقوعه.

﴿**يوم يُنْفَخُ في الصُّورِ فتأتون أفواجاً**﴾ ⟨١٨⟩ ﴿يوم﴾ بدل من ﴿يوم الفصل﴾[١] وتقديره: إن يوم النفخ في الصور. و﴿الأفواج﴾ الجماعات، واحداها فوج ﴿كُلَّما أُلقي فيها فوج﴾[٢] ومقلوبة جوف، وفيه معنى الاجتماع، فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين ﴿يصدر الناسُ أشتاتاً﴾[٣] أي فرادى، لأنّه من الشتات وهو الافتراق؟ فالجواب: أنّه يجوز أن يكونوا حال خروجهم من القبور أشتاتاً، بدليل ﴿يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد مُنْتَشِر﴾[٤] وبعد ذلك يتجمّعون أفواجاً، بدليل ﴿..... كأنهم

(١) المشكل ٢/٤٥٠، والعكبري ٢/٢٧٩، والبحر ٨/٤١٢.
(٢) سورة الملك: الآية ٨.
(٣) سورة الزلزلة: الآية ٦.
(٤) سورة القمر: الآية ٧.

إلى نُصُب يوفِضون﴾[1] والأشخاص الكثيرة إذا كان مقصودُهم واحداً جاءوه مجتمعين، يدل عليه أنّه عزّ وجلّ قال: ﴿فتأتون أفواجاً﴾ ولم يقل فيخرجون أفواجاً، فحصل من هذا أن انفرادهم عندَ خروجهم، وصدورهم عن القبور، واجتماعهم عند وصولهم إلى المقام المشهود أو قريباً منه.

﴿وفُتحت السماءُ فكانَت أبواباً﴾ ﴿١٩﴾ أي وتفتح عطفاً على ﴿يُنفخ﴾ مستقبل على مستقبل، وتشديد ﴿فتّحت﴾[2] يناسب جمع الأبواب لإفادته التكثير. ﴿فكانت﴾ أي صارت، وهذا في معنى ﴿ويوم تشقّقُ السماءُ بالغمام﴾[3] وهل السماء المفتحة أبواباً هذه أو بدلها، كل محتمل، وتفتح أبوابها لنزول الملائكة، ويقال: إنّ المَجَرَّةَ شَرَج السماء، أي بابها المُشْرَج، يعني المسدود.

﴿وسُيِّرَت الجبالُ فكانت سراباً﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ويومَ نُسَيِّرُ الجبال﴾[4] ﴿وترى الجبالَ تحسَبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب﴾[5]، ﴿فكانت هباءً مُنْبَثاً﴾[6]، ﴿فقُلْ ينسِفُها ربّي نسفاً﴾[7] أي صارت

---

(١) في الأصل (مهطعين إلى الداعي كأنّهم. . . ) وفي سورة المعارج: الآية ٤٣: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ وفي سورة القمر: الآية ٨: ﴿مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عَسِر﴾.

(٢) قراءة الكوفيين ـ عاصم وحمزة والكسائي ﴿وفتحت﴾ بالتخفيف، وسائر السبعة بالتشديد. السبعة ٦٦٨.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٥.

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٧.

(٥) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٦) سورة الواقعة: الآية ٢٦.

(٧) سورة طه: الآية ١٠٥.

رقيقة الجرم لنسفها وبسّها، سريعة الحركة لجريها، فصارت كالسراب. والحكمة في تسيير الجبال وضعها في وِهاد الأرض لتعتدل فتصير بارزة ﴿لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً﴾[1].

قوله عزّ وجل: ﴿إنّ جهنّم كانت مِرصاداً﴾ (٢١) أي مُرصدة لأهلها، وهم الطاغون ونحوهم.

والمآب[2]: المرجع، أي يؤولون ويرجعون إليها، وكانت ـ يعني في علم الله عز وجل ـ أو ستكون و ﴿الطاغون﴾ جمع طاغٍ: وهو المتجاوز حدّ ما ينبغي، ومنه: ﴿إنّا لمّا طغى الماء﴾[3]، و ﴿فرعون إنّه طغى﴾[4] واللام في (للطاغين) يجوز تعلّقها بـ ﴿مرصاداً﴾ وبـ ﴿مآباً﴾ وبأيهما علّقت قدّرت في الآخر، أو حذفت اقتصاراً لوضوح الأمر[5].

﴿لابثين﴾ ماكثين مقيمين ﴿كم لَبِثْتَ﴾[6]، ﴿كم لَبِثْتُم﴾[7]، وهي نصب على الحال من الطاغين، ﴿أحقاباً﴾ جمع حُقُب. وهو ثمانون سنة[8]. وأحقاب جمع قلّة، استعمل مكان جمع الكثرة، لأن مقام هؤلاء فيها لا يتناهى، وظاهر اللفظ يقتضي مقامهم فيها

---

(١) سورة طه: الآية ١٠٧.
(٢) تمام الآيتين ٢٢، ٢٣ ﴿للطاغين مآباً. لابثين فيها أحقاباً﴾.
(٣) سورة الحاقة: الآية ١١.
(٤) سورة طه: الآية ٢٤.
(٥) العكبري ٢/٢٧٩، والبحر ٨/٤١٣.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٧) سورة الكهف: الآية ١٩.
(٨) ينظر معنى الحقب في الطبري ٣٠/٨، والقرطبي ١٩/١٧٨.

ثمانمائة سنة، لأن أكثر جمع القلّة عشرة، وثمانون في عشرة ثمانمائة، ويجوز حمله على مقتضى ظاهره، ويثبت الزائد على ذلك بالدليل المنفصل.

﴿لا يذوقون﴾ في محل نصب على الحال: أي غير ذائقين فيها ﴿برداً ولا شراباً﴾ (٢٤) البرد ضد الحر، وقيل: النوم، لأنّه يبرد ظاهر اليدين لانقباض الحرارة إلى عمقه، وفي الشعر:

فإنْ شِئْتِ حرَّمْتُ النساءَ سواكُمُ وإن شِئْتِ لم أَطْعَمْ نُقاخاً ولا بَرْدا[1]

والشراب: ما يشرب من ماء وغيره.

﴿إلاّ حميماً وغسّاقاً﴾ (٢٥) استثناء متّصل[2] من (شراب) لأن الحميم والغسّاق: ما يعاب بتأتي شربهما، والحميم: المائع الحار. والغسّاق: الصديد والرطوبات السائلة من أهل النار. يقال: غسق الجرح: إذا سال منه ذلك. ونصب ﴿حميماً وغساقاً﴾ على أصل الاستثناء، أو على تقدير: يذوقون جزاء وفاقاً: أي يجزَون بذلك جزاءً وفق جزائهم[3] وقد ثبت بالعيان أن كفر الكفّار، ومعصية العصاة بالفعل منقطعة، وعذابهم في النار مؤبد لا يبيد، وقد أخبر الله عزّ وجلّ أن ذلك وفق ذنوبهم، ومن المعلوم أن المنقطع لا يطابق غير المنقطع حتى تكون وفقاً له، فظهر أن عذابهم المؤبّد إنّما هو وفق معصيتهم بالقوّة والنيّة والعزيمة، لأنهم كانوا عازمين على أنهم لو عاشوا أبداً لكانوا عاصين.

---

(١) البيت للعرجى ـ ديوانه ١٠٩، وتفسير غريب القرآن ١٤٦، والبحر ٤١٤/٨، النُقاخ: الماء.

(٢) ينظر المشكل ٤٥١/٢، والبحر ٤١٤/٨.

(٣) في قوله تعالى الآية ٢٦: ﴿جزاءً وِفاقاً﴾: ينظر العكبري ٢٧٩/٢.

قوله عزّ وجل: ﴿إنّهم كانوا لا يرجون حِساباً﴾ (٢٧) هذا تعليل لتعذيبهم، أي عذَّبْناهم هذا العذاب لأنهم كانوا لا يرجون: يخافون، ومثله: ﴿لا يَرْجون لله وقاراً﴾[(١)] والرجاء مشترك بين الخوف والأمل. والمعنى: كانوا لا يؤمنون به فيخافوه ﴿وكذّبوا﴾ عطف على ﴿كانوا﴾ ﴿بآياتنا كِذّاباً﴾ (٢٨) مصدر كذّب تكذيباً وكِذّاباً بالتشديد والتخفيف[(٢)].

﴿وكلَّ شيءٍ أَحْصَيْناه﴾[(٣)] من باب الاشتغال، نحو ﴿والقمرَ قدَّرْناه﴾[(٤)] و﴿أحصَيْناه﴾ أطقناه كتابة: أي قدرنا على كتابته وضبطه، والظاهر: عددناه وكتبناه، نحو: ﴿وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَر﴾[(٥)].

﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ (٣٠) أي يقال لهم: ذوقوا، وهو كناية عن الإحساس بالعذاب، واستُعير له الذوق، لأنّه إحساس خاصّ، وهذا معنى ﴿وإن يَستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْلِ﴾[(٦)]، ﴿كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها﴾[(٧)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّ للمتّقين مفازاً﴾ (٣١) إما مصدر فاز

---

(١) سورة نوح: الآية ١٣.
(٢) أي كِذاباً وكِذّاباً. وله مصادر أُخر. القاموس ـ كذب.
(٣) تمام الآية ٢٩: ﴿وكلّ شيءٍ أحصيناه كتاباً﴾.
(٤) سورة يس: الآية ٣٩.
(٥) سورة القمر: الآية ٥٣.
(٦) سورة الكهف: الآية ٢٩.
(٧) سورة الحج: الآية ٢٢.

بمعنى الفوز وإن لم يكن قياساً، أو جمع مفازة كقوله عزّ وجلّ: ﴿وينجّي الله الذي اتّقوا بمفازاتهم﴾[1]. ﴿فلا تَحْسَبَنَّهم بمفازةٍ من العذاب﴾[2] والفوز: البقاء والفلاح.

**﴿حدائق وأعناباً﴾** ﴿٣٢﴾ بدل من ﴿مفاز﴾ جمع حديقة وعنب.

**﴿وكواعِبَ أتراباً﴾** ﴿٣٣﴾ جمع كاعِب، وهي التي كَعَب ثدياها: أي ارتفعا، وجمع تِرْب: وهو القرين، أي هنّ قرائن متقاربات في السنّ.

**﴿وكأساً دِهاقاً﴾** ﴿٣٤﴾ أي مملوءة من شراب الجنّة الرحيق وغيره.

**﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾** كلاماً لا فائدة له **﴿ولا كِذّاباً﴾** ﴿٣٥﴾ كَذِباً.

**﴿جزاءً﴾** نعت أو بدل من المنصوبات المتقدّمة، أي إنّ للمتّقين جزاءً، كواعب ونحوها، أو تقديره: وجعلْنا ذلك ﴿جزاءً﴾، نصب بعامل مقدّر **﴿من ربّك﴾** أي من فضل ربّك أو مبدأه. **﴿عطاءً حساباً﴾** ﴿٣٦﴾ نعت لما سبق أو بدل. و﴿حساباً﴾ أي مُحْسِباً كافياً، من: أحسبني الشيء: إذا كفاني.

**﴿ربِّ السموات﴾** يجوز جرّ ﴿ربّ﴾ نعتاً لـ ﴿ربّك﴾ ورفعه على إضمار مبتدأ: أي هو ربّ. **﴿وما بينهما الرحمٰن﴾** في إعرابه

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٨.

الوجهان[1]. ﴿لا يَملكون منه خِطاباً ۝٣٧﴾ فيه احتمالان: أحدهما: لا يملكون تحصيل خطاب منه إلّا بفضله. الثاني: أن بسببه لا يملكون أن يتكلّموا بين يديه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿لا يتكلّمون إلّا من أذِنَ له الرحمٰن﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يومَ يقومُ الرّوحُ والملائكةُ صفاً﴾ يحتمل أن ﴿يوم﴾ ظرف لحصول المفاز، تقديره: إن للمتقين مفازاً يوم يقوم الروح، ويسير هذا إلى معنى: ﴿لا يَحزنُهم الفَزَعُ الأكبر﴾[2] الثاني: أن تقديره: يوم يقوم الروح لا يملكون منه خطاباً. والروح - قيل: عالم أخفى من الملائكة، لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة، وقيل: هو ملك واحد يقوم صفّاً وحده، والملائكة جميعهم صفّاً[3]. وظاهر الآية أن الرُّوح والملائكة جميعاً صفّ واحد، إلّا أنْ يُراد جنس الصفّ، فتتعدّد الصفوف، نحو: ﴿وجاء ربُّك والملك صفّاً صفّاً﴾[4] ﴿لا يتكلّمون﴾ يحتمل أن المراد الملائكة أو الكفار، أو الجميع، وهو أولى ﴿إلّا من أذِن له الرحمٰن﴾ يحتمل الإذن القولي بأن يقال له: تكلّم، أو الكوني بأن يُلهم الكلام وييسّرله، وكذلك ﴿من ذا الذي يَشْفَعُ عنده إلّا بإذنه﴾[5]

---

(١) قراءة عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر بخفض ﴿ربّ﴾ وأبو عمرو ونافع وابن كثير برفعها. وقرأ عاصم وابن عامر بخفض (الرحمٰن) ورفعها سائر السبعة. ينظر القراءات وتوجيهها في السبعة ٦٦٩، والكشف ٢/٣٥٩، والمشكل ٢/٤٥٣، والطبري ٣٠/١٤، والعكبري ٢/٢٨٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.

(٣) الطبري ٣٠/١٥، والقرطبي ١٩/١٨٦، والدر المنثور ٦/٣٠٩.

(٤) سورة الفجر: الآية ٢٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

ونحوها. ﴿وقال صواباً﴾ ﴿٣٨﴾ قيل: لا إله إلّا الله، والأولى حمله على عموم الصواب المستدعي شرعاً، وإن كان لفظ الآية مطلقاً[١].

﴿ذلك اليوم الحقُّ﴾ أي الذي يقع فيه الحق والعدل، أو اليوم الثابت الوقوع، من حق يحقّ ﴿فمن شاء اتّخذ إلى ربّه مآباً﴾ ﴿٣٩﴾ هذا صيغته صيغة التخيير، وليس كذلك، إنّما هو ضرب وعيد وتهديد، نحو: ﴿ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[٢] أو ضرب تحريض على اتخاذ المثاب، إذ ليست مشيئة الإنسان مستقلة بما يريد منه أمر دين ولا دنيا.

﴿إنّا أنْذَرْناكم عذاباً قريباً﴾ هذا خطاب للكفّار المكذّبين الطاغين. ﴿عذاباً قريباً﴾ بالنسبة إلى إمهال الله عزّ وجل عباده، أو بالنسبة إلى ما علمه بقي من أعمارهم، وإشارة إلى: ﴿وما أمرُ الساعةِ إلّا كلمح البصر أو هو أقرب﴾[٣].

﴿يومَ﴾ ظرف لوقوع العذاب ﴿ينظر المرءُ ما قدّمت يداه﴾ إما حقيقته، أو جزاءه ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تُراباً﴾ ﴿٤٠﴾ لما عاين من العذاب ﴿يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تُسَوَّى بهم الأرض﴾[٤] يقال: إن البهائم بعد حشرها والحكم بينها

---

(١) ينظر الطبري ٣٠/١٦، والقرطبي ١٩/١٨٧، والدر المنثور ٦/٣١٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٧.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٢.

تصير تراباً، ويؤمر بالكافر إلى العذاب، فحينئذ يتمنّى لو كان بهيمة يصير تراباً.

* * *

هذا آخر الإملاء، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً(*).

---

(*) وختمت المخطوطة بـ(قال ممليه: أنهاه كاتبه سليمان البغدادي في السابع عشر من رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة بحبس رحبة باب العيد من القاهرة المعزّيّة، حرسها الله وسائر بلاد الإسلام، حامداً لله عز وجل، مصلياً على رسوله عليه السلام).





# تفسير سورة الانشقاق

سُورَةُ الانشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

## [بسم الله الرحمٰن الرحيم]
## سورة الانشقاق

قوله عزّ وجلّ: ﴿إذا السماءُ انشقّت﴾ (١) ذكر النحاة أن الاسم المرتفع بعد (إذا) مرفوع بفعل قبله يفسّره ما بعده، تقديره: إذا انشقّت السماء انشقّت، ولو جعل من باب التقديم والتأخير لم يبعد[1].

قوله عز وجل: ﴿وأَذِنَتْ لربّها﴾ أي سمعت لأمره بالانشقاق وأطاعت، اشتقاقاً من الأُذن التي هي محل السمع ﴿وحُقَّت﴾ (٢) أي حقّ لها أن تسمع وتطيع لعظمة الأمر لها بذلك ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتَيْنا طائِعين﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿وإذا الأرضُ مُدَّت﴾ (٣) لتعتدل، مدّ الأديم العُكَاظِيّ[3] كما ثبت في السنة حتى تصير ﴿لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمتاً﴾[4].

---

(١) المشكل ٤٤٦/٢، والعكبري ٢٧٨/٢، والدر المصون ٢٠٤ أ.
(٢) سورة فصلت: الآية ١١.
(٣) أي الجلد الذي كان يحمل إلى سوق عكاظ فيباع فيها.
(٤) سورة طه: الآية ١٠٧.

﴿وأَلْقَتْ ما فيها﴾ يعني من الموتى ﴿وتَخَلَّت﴾ ﴿٤﴾ منه، فصارت منه خلاءً: أي خالية، وهو معنى قوله عز وجل: ﴿وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها﴾[1]، ﴿فإذا هم من الأجداثِ إلى ربّهم ينسِلون﴾[2]، ﴿يخرجون من الأجداثِ كأنَّهم جرادٌ مُنْتَشِر﴾[3] ونحو ذلك.

﴿وأَذِنَتْ لربّها وحُقَّت﴾ ﴿٥﴾ يحتمل أنّه تأكيد للأول، ويحتمل أن الأول عائد على انشقاقها، والثاني على إلقائها ما فيها، يعني أنها أطاعت الأمر بالانشقاق أولاً، ثم الأمر بالإلقاء والتخلّي ثانياً.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الإنسانُ﴾ هذا خطاب لنوع الإنسان عموماً، أو لواحدٍ غير معيّن، فيَتوجّه إلى كلّ إنسانٍ على البدل، أو بعلّة الإنسانية ﴿إنّك كادِحٌ﴾ أي ساعٍ مجتهد ﴿كَدْحاً﴾ أي سعياً واجتهاداً ﴿فمُلاقيه﴾[4] ﴿٦﴾ عطفٌ على ﴿كادح﴾ أي إنّك كادحٌ فملاقٍ، وفي عطف ملاقاة الكدح عليه بالفاء إشارة إلى قرب المدّة، لاقتضاء الفاء التعقيب.

ثم فصّل الله عزّ وجل حال الإنسان وكدحه بقوله عزّ وجلّ: ﴿فأمّا مَنْ أُوتيَ كتابَه بيمينه...﴾ الآيات. معناه: أن الإنسان في كدحه ضربان. من يُؤتى كتابه بيمينه، ومن يؤتاه بشماله وراء ظهره: ﴿فأمّا مَنْ أُوتي كتابه بيمينه فسوف يُحاسبُ حساباً يسيراً﴾

---

(١) سورة الزلزلة: الاية ٢.

(٢) سورة يس: الآية ٥١.

(٣) سورة القمر: الآية ١.

(٤) تمام الآية: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربِّك كدحاً فملاقيه﴾.

﴿٨﴾ أي لا يناقش الحساب، إذ «مَنْ نُوقش الحساب عُذِّب»[1].

﴿وَيَنْقَلِبُ إلى أهله مسروراً﴾ ﴿٩﴾ أي يرجع مسروراً، وفي ﴿أهله﴾ احتمالان: أحدهما: أهله الذين كانوا في الدنيا، يجمع بينه وبين مَن أمكن اجتماعه به منهم هناك تكميلاً لسروره. الثاني: أنهم أهله الذين أُعِدُّوا له في الجنّة، وسُمّوا أهله إشعاراً بإعدادهم له[2]. ﴿وأمّا مَنْ أُوتي كتابه وراءَ ظَهره. فسوف يدعو ثُبوراً. ويصلى سعيراً﴾ ﴿١٠﴾ - ﴿١٢﴾ الثبور: الهلاك، أي يدعو: واثُبوراه، أي: واهلاكاه. وصلاء السعير: الاحتراق لشمائلهم من وراء ظهورهم، يكون ذلك علامة على السعادة والشقاء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فسوف يُحاسبُ﴾، ﴿وسوف يدعو ثُبوراً﴾ مع أن سوف تقتضي زيادة تراخ عن السين، فيشبه أن يكون ذلك لتضاعف سرور السعداء بانتظار السرور، وحزن الأشقياء وخوفهم بانتظار الثبور.

قوله عزّ وجل: ﴿إنّه كان في أهله مسروراً﴾ ﴿١٣﴾ يعني هذا الذي أُوتي كتابه وراء ظهره كان في أهله مسروراً، ففعل به ذلك لسروره في الدنيا مع ما ذكر من حاله بعد. والمراد بالسرور المعاقب عليه سرور البطر والأشر، لا مطلق السرور.

﴿إنّه ظنّ أنْ لن يحور﴾ ﴿١٤﴾ هذه علة أخرى لثبوره، وهي ظنّه أن لن يحور: أي لا يرجع إلى الله عزّ وجلّ، نحو ﴿وظنّوا أنّهم

---

(١) ينظر الحديث في البخاري - كتاب العلم - باب ٣٥ - ١/١٩٥، وتفسير سورة الانشقاق ٨/٦٩٧، ومسلم - كتاب الجنة - باب ١٨ - ٤/٢٢٠٤.

(٢) القرطبي ١٩/٢٧٢.

إلينا لا يُرجعون﴾[1] والظن هنا يحتمل أنه بمعنى اليقين، وأنهم كانوا يقطعون بعدم البعث ويحتمل أنه على أصله في الاحتمال الراجح، بدليل قولهم: ﴿ما الساعةُ إنْ نظنُّ إلاّ ظنّاً ومنا نحن بمُسْتَيقنين﴾[2] وإذا عرض لهم عدم القطع في البعث عرض له في عدمه، إذ لا يُتصوّر أن يقطع بالشيء ويظن نقيضه، فلا يُتصور أن يظنّوا الساعة ظنّاً ويقطعوا بعدمها قطعاً، و﴿يحور﴾ من الحَوْر: وهو الرجوع، وفي الحديث: «أعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر»[3] أي من الرجوع إلى النقص بعد الزيادة. وقيل: من الرجوع إلى انتقاص الحال بعد بنائه، وقال لبيد:

وما المرءُ إلاّ كالشهابِ وضوئه  يحورُ رَماداً بعدَ إذ هو ساطِعُ[4]

أي يرجع رماداً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿بلى﴾ هو ردّ على قول الكافرين ﴿إنّه ظنّ أن لن يحورَ﴾ أي بلى ليحورَنّ: أي يرجع إلى ربّه عزّ وجلّ، ﴿إنّ ربّه كان به بصيراً﴾ ﴿١٥﴾ يحتمل أن هذا تعليل لرجوعه: أي يرجع لأن ربّه كان بحاله وكفره بصيراً، فلم يكن ليدعه حتى يحاسبه ويعاقبه، ويحتمل أن هذا إخبار مبتدأ بأن الله عزّ وجلّ بصير بحال عباده، إشارة إلى وعيدهم وتخويفهم.

قوله عز وجل: ﴿فلا أُقْسِمُ بالشَّفَق﴾ ﴿١٦﴾ الظاهر أن القسم بالشفق وما بعده، وبربّها عزّ وجلّ على ما مرَّ في ﴿والسماء

---

(١) سورة القصص: الآية ٣٩.
(٢) سورة الجاثية: الآية ٣٢.
(٣) صحيح مسلم ـ كتاب الحج ـ باب ٧٥ ـ ٢/٩٧٩، وابن ماجه ـ كتاب الدعاء ٢/١٢٧٩.
(٤) ديوان لبيد ١٦٩، والقرطبي ١٩/٢٧٣.

والطارق﴾[1] فتكون ﴿لا﴾ زائدة، ويحتمل أنها نافية على أصلها، والقسم بما هو أعظم من هذه الأشياء، تقديره: لا أقسم بهذه الأشياء، بل بما هو أعظم منها، من ربّها أو غيره من صفاته أو آثار قدرته. (والشفق) الحمرة أو البياض الذي يبدو شرقاً أول النهار، وغرباً أول الليل.

﴿والليلِ وما وَسَق﴾ ﴿١٧﴾ أي جمع، ومنه الوَسْق الذي يجمع ما يُكال به، وتصريفه وسق يسِق وَسْقاً، مثل وعد يعد وعداً، وهو نحو قوله عز وجل: ﴿والليلِ إذا عَسْعَسَ. والصبحِ إذا تَنَفَّسَ﴾[2] وهو في الحقيقة قسم بخالق النور والظلمة، أو تأثير القدرة فيهما.

﴿والقمرِ إذا اتَّسَق﴾ ﴿١٨﴾ أي تمّ واستدار، واتَّسق الأمر: إذا انتظم واستقام ووقع على التمام، وهو راجع إلى معنى وسق، لأن اتَّسق أصله اوتسق، فهو «افتعل» من وسق، فمعناه: إذا اجتمع وتمّ.

قوله عز وجل: ﴿لتركَبُنَّ طَبَقاً عن طبق﴾ ﴿١٩﴾ قيل لتصيرن إلى حال بعد حال، و﴿عن﴾ بمعنى بعد[3] ومنه قول العباس في مدح النبي ﷺ:

تُنْقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمٍ     إذا مضى عالَمٌ بدا طَبَقُ[4]

---

(١) سيأتي. وعبّر المؤلف بمرّ لأن تفسيره لسورة الطارق أسبق.

(٢) سورة التكوير: الآيتان ١٧، ١٨.

(٣) القرطبي ١٩/٢٧٩، والعكبري ٢/٢٨٤، والبحر ٨/٤٤٧، والدر المصون ٢١٠ أ.

(٤) في الأصل: (إذا به عالم مضى عالم بدا طبقاً) وصوّب من المصادر: =

والمراد بالآيـة: لتصيرن عن الحيـاة إلى الموت، ثم إلى الحيـاة بالبعث. ولمـا أتى بلفظ الـطبق المتهيء للركـوب عليـه استعاره له، وتحقيق الكلام: لتركبن طبقاً صائرين إليه عن طبق، كمـا تقول: صـرت إلى مكة عن المـدينة: أي جـاوزتهـا إليهـا و ﴿عن﴾ على بابها من المجاوزة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فمـا لهم لا يُؤمنون. وإذا قُـرىء عليهم القرآنْ لا يَسْجدون**﴾ ﴿٢٠﴾، ﴿٢١﴾ هذا إنكار عليهم لترك الإيمان والسجود عند قراءة القرآن عليهم، وهـو مُنكَر بـالجملة، واحتجّ الحنفية بهذا على وجوب سجود التلاوة[1]، ولا حجّة فيـه؛ لأن الإنكار وقع على الكفار على ترك الإيمان فقط، وهو واجب، أو على ترك الأمرين جميعاً، فلا يلزم استقلال ترك السجود بالإنكار، ثم ظاهر الآية متروك بالإجماع، إذ هو يقتضي وجوب السجود عند قراءة القرآن ـ كان فيه سجود أو لم يكن، ولا قائل به.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**بل الذين كفروا يُكذِّبون**﴾ ﴿٢٢﴾ أي هم لا يؤمنون، بل يكذّبون بالقرآن ومـا تضمّنه من أركـان الإيمان، ويحتمل أن هذه ﴿بـل﴾ في قوّة لكنّ، أي: لا يؤمنـون لكنّهم يكذّبون. وقوله: ﴿بل الذين كفروا﴾ وضع للظاهر موضع الضمير تشنيعاً عليهم وتعظيماً لفعلهم.

﴿والله أعلمُ بما يُوعون﴾ ﴿٢٣﴾ أي يُضمرون من الكفـر، تشبيهاً للضمير في القلب بالشيء المُوعَى في الوعاء.

= إعـراب ثلاثين سورة ٤٧، والقرطبي ١٩/ ٢٨٠، والبحـر ٨/ ٤٤٨، والـدر ٢٠٩ ب.

(١) ينظر بدائع الصنائع للكاساني ١/ ١٨٠.

﴿**فبشِّرْهم بعذابٍ أليم. إلاّ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحات...**﴾ يحتمل أن هذا استثناء منقطع، لأن الذين آمنوا لا يُبَشَّرون بالعذاب، فالمعنى: لكن الذين آمنوا. ويحتمل أنّه متّصل بقوله عزّ وجلّ: ﴿فما لهم لا يؤمنون... إلاّ الذين آمنوا﴾ فاستثنى المؤمنين ممّن لم يؤمن، وفيه نظر؛ لأن الذين لا يؤمنون ولا يسجدون هم الكفّار، فلا يصحّ استثناء المؤمنين منهم استثناء متصلاً[1] ﴿**لهم أجرٌ**﴾ ثواب ﴿**غير ممنون**﴾ ﴿٢٤﴾، ﴿٢٥﴾ فيه وجهان: أحدهما: غير منقطع، ومنه المَنون لقطعها الآجال، والثاني: لا يُمَنّ عليهم به، من المِنّة، وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا تُبْطِلوا صدقاتكم بالمَنّ والأذى﴾[2].

* * *

وليكن هذا آخر هذا التعليق المختصر

---

(١) ينظر المشكل ٢/٤٦٦، والعكبري ٢/٢٨٤، والدر المصون ٢١٠ أ.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

ختم تفسير السورة بـ (قال مؤلفه: كتبه سليمان عبدالقوي البغدادي في حبس رحبة باب العيد، في ليلة الثلاثاء ويومه، حادي عشر رجب الفرد سنة إحدى عشرة وسبعمائة، حامداً الله عزّ وجلّ، مصلياً على رسوله عليه السلام. ومن خط مؤلفه نُقل. غفر الله لكاتبه، ومؤلفه، وقارئه، والناظر فيه، ومن دعا لهم بالرحمة، وجميع المسلمين آمين) وعلى الحاشية: (بلغ مقابلة بأصل مؤلفه).

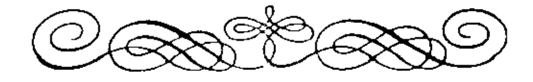


# تفسير سورة الطارق

سورة الطارق — ترتيبها ٨٦ — آياتها ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾



# [بسم الله الرحمٰن الرحيم]
# سورة الطارق

قوله عز وجل: ﴿والسَّماءِ والطارِق. وما أدراك ما الطارِقُ. النَّجمُ الثاقِبُ﴾ ﴿١﴾ - ﴿٣﴾ ﴿والسماء﴾ قسم، ثم هل هو قسم بنفس السماء لأنها خلق عظيم يدل على عظيم قدرة خالقها، لقوله عزّ وجلّ: ﴿لَخَلْق السمواتِ والأرض أكبرُ من خلق الناس﴾(١) أو قسم بربّ السماء على تقدير حذف المضاف، فيه قولان(٢)، أما ﴿الطارق﴾ فقد فسّره الله عزّ وجلّ بـ ﴿النجم الثاقب﴾ سُمّي طارقاً لطروقه ليلاً: أي خروجه وظهوره، ومنه قول هند بنت عتبة يوم أحد:

نحن بنات طارِقْ  نمشي على النّمارِقْ(٣)

﴿وما أدراك﴾ صيغة استفهام معناه: إما التعظيم، أي هذا المقسم به لا تدريه حتى يعلمك به، أو التنبيه على أمرٍ خفيّ، أي هذا المقسم به مع ظهوره خفيّ لا بدّ من التنبيه عليه ليجمع

---

(١) سورة غافر: الآية ٥٧.

(٢) ينظر إعراب ثلاثين سورة ٣٧.

(٣) إعراب ثلاثين سورة ٣٨، القرطبي ٢/٢٠، والمغني ٤٣٣، وشرح شواهد المغني ٢/٨٠٩.

بين اسمه ومسمّاه. ﴿النجم﴾ سُمِّي نجماً لنجومه: أي ظهوره، يقال: نجم القرن والنبت: إذا طلعا وظهرا. ﴿والثاقب﴾ المضيء جداً، يقال ثقب يثقُب، إذا أضاء، ويقال: إن المراد بالثاقب هنا نجم في السماء السابعة يثقب ويخرق نوره السموات كلّها. ﴿والنجم﴾ خبر مبتدأ محذوف: أي هو النجم الثاقب.

قوله عزّ وجل: ﴿**إنّ كلّ نَفْسٍ لما عليها حافظ**﴾ ﴿٤﴾ في تقديره وجهان: أحدهما: أنّ ﴿إن﴾ بمعنى «ما» النافية، و﴿لما﴾ بمعنى «إلاّ»[1]، أي: ما كلّ نفسٍ **إلاّ عليها حافظ**، وهو تقدير الكوفيين. **والثاني**: أن ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، وفيها ضمير شأن مقدر، واللام في جوابها فارقة بينها وبين النافية[2]، و«ما» المتصلة بها خفيفة صلة، والتقدير: إنّه كل نفس لعليها حافظ[3].

وفي الحافظ احتمالان: **أحدهما**: أنه الله عز وجل: بدليل قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ هو قائم على كلّ نفس بما كَسَبَتْ﴾[4]، **والثاني**: إنه الحفظة من الملائكة: بدليل قول الله عز وجل: ﴿ويُرسِلُ عليكم حَفَظَة﴾[5]، ﴿وإنّ عليكم لحافظين﴾[6].

---

(١) هذه على قراءة تشديد ﴿لمّا﴾.

(٢) هذه على قراءة ﴿لما﴾ بالتخفيف.

(٣) في الآية قراءتان سبعيّتان، بتخفيف (لما) وتشديدها. ينظر إعراب ثلاثين سورة ٤١، ٤٢، والكشف ٢/٢١٥، والعكبري ٢/٢٨٥، والدر المصون ٦/٣٩٦ وما بعدها.

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٣.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٦١.

(٦) سورة الانفطار: الآية ١٠.

قوله عز وجل: ﴿فلينظر الإنسانُ مِمَّ خُلق﴾ ﴿٥﴾ أمر للإنسان، بالنظر في تحصيل الإيمان بمعاده قياساً على ما ابتدأه، أي كما خُلق من ماء دافق ولم يكن شيئاً، كذلك هو على رجعه قادر بعد أن لا يكون شيئاً. والنظر واجب في جميع متعلّقات الإيمان، نحو قوله عز وجل: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾[1] ونحوها من الآيات. وقوله عزّ وجلّ: ﴿ممّ﴾ أصله ممّا، ونظيره ﴿عمّ يتساءلون﴾[2]، و﴿لِمَ تقولون ما لاتفعلون﴾[3] و﴿فيم كنتم﴾[4] وعلام، وإلام، وحتّام، ونحوها.

قوله عز وجل: ﴿خُلق من ماءٍ دافق﴾ ﴿٦﴾ يعني المنيّ، هو مبدأه ومادته، ونظيره: ﴿ألم نَخْلُقكم من ماء مّهين﴾[5] يعني الماء الدافق: وهو الخارج بشدة، ويقال: إنّه بمعنى مدفوق، وعكسه ﴿حجاباً مستوراً﴾[6] يعني ساتراً.

﴿يخرج[7] من بين الصُّلْب والتَّرائِب﴾ ﴿٧﴾ يعني: صلب الذكر وترائب الأنثى، جمع تريبة، والمراد صدرها، ولعل الترائب أعضاء خاصة في الصدور وهو يعمها، كالمفاصل والأصابع يعمها الكفّ. وقال امرؤ القيس:

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠١.
(٢) فاتحة سور النبأ.
(٣) سورة الصف: الآية ٢.
(٤) سورة النساء: الآية ٩٧.
(٥) سورة المرسلات: الآية ٢٠.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٤٥.
(٧) (يخرج) ليست في المخطوطة.

مهفهفـةٌ بيضـاءُ غيـرُ مُفـاضَـةٍ ترائِبُها مَصْقولَةٌ كـالسَّجَنْجَل[1]

قوله عز وجل: ﴿**إنّه على رجعه لقادرٌ. يوم تُبلى السرائر**﴾ ﴿٨﴾، ﴿٩﴾ في الضمير في ﴿إنه﴾ قولان: **أحدهما: يرجع إلى الله** عز وجل، لظهور أنّه المراد وإن لم يجر للفظه ذكر. **والثاني**: أنه يرجع إلى الحافظ، على القول بـأنه الله عـز وجل، أو إلى رب السماء والطارق على القول بأنه مضاف محذوف. ﴿على رجعه﴾ أي على إعادته حيّاً بعد الموت. يقال: رجعه يرجعه رجعاً بمعنى أعاده يعيده إعادة ﴿لقادر﴾ اللام مؤكّدة في جواب ﴿إنّ﴾. ﴿يوم تُبْلَى السَّرائِرُ﴾ أي يوم تختبر السرائر فتظهر. والبلاء: الاختبار، نحـو: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم حتى نَعْلَمَ المجاهـدين﴾[2] ﴿ونبلوكم بـالشـرّ والخير فِتنة﴾[3] أي نختبركم بالشـرّ لتصبروا، وبـالخير لتشكـروا و ﴿السرائر﴾ جمع سريرة: وهو الأمر الباطن، فتظهر بين يدي الله عز وجل يوم القيامة بواطن الأمور التي كانت تُسَرّ في الدنيا. أما قوله عز وجل: ﴿يوم تُبلى السرائر﴾ فبماذا يتعلّق ـ أعني الظرف ـ فالظاهر أنّه يتعلّق بـ ﴿قادر﴾ وقيل: يتعلّق بمحـذوف، تقديـره: يرجعه يوم تُبلى السرائر[4]. وحمل هذا القائل على هذا القول أن تعليقه بـ ﴿قادر﴾ يفهم منه اختصاص القدرة على الرجع بيوم تُبلى السرائر، وليس كذلك، بل القدرة على الإعادة والرجع عامة في

---

(١) وهو من معلقته. ديوانه ١٥. والسجنجل: المرآة.

(٢) سورة محمد: الآية ٣١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

(٤) ينظر المشكل ٢/٤٦٩، والعكبري ٢/٢٨٥، والبحر ٨/٤٥٥، والدر المصون ٢١٢ ب.

كل يوم ووقت وزمان. والجواب عن هذا أن الكلام خرج مخرج ما ورد على سبب، فلا اعتبار بمفهومه، وذلك لأن تعبّدهم إنما كان بالإيمان بالرجع في هذا اليوم، وإنكار الكفار إنما وقع لذلك، وهم لم يتعبّدوا بالإعادة في الدنيا، والله عزّ وجلّ إنّما أثبت قدرته على ما أنكروه من الرجع في ذلك اليوم، فجرى ذلك مجرى ما ورد على سبب، أو في جواب سؤال، نحو ﴿وربائبُكُم اللاتي في حُجوركم﴾[1]، ﴿وإنْ خِفْتُم شِقاقَ بينهما فابعثوا﴾[2] وأشباه ذلك.

قوله عز وجل: **﴿فما له من قوّةٍ ولا ناصر﴾ ﴿١٠﴾** يعني الإنسان، يوم يرجعه الله عز وجل إليه يكون ضعيفاً ليس له قوة ولا ناصر، وكذلك هو في الدنيا في الحقيقة، وإنما اختصّ الإخبار بضعفه بذلك اليوم إمّا لأنّه من باب ما لا مفهوم له كما سبق في تعلّق ﴿يومَ تُبلى السرائر﴾ بـ ﴿قادر﴾، أو لأن بعض الحمقى تظنّ أن له في الدنيا قوة وناصراً، فخرج هذا المفهوم على زعمه.

واعلم أن هذه القسمة في غاية الحسن والحصر، لأن الإنسان في العادة إذا توجّه إليه مكروه فإنّما يدفعه عنه بقوة تكون له كالشجاعة، أو تناصر يساعده على دفع ذلك المكروه، والإنسان يومئذ ليس له واحد منهما، وفي معنى هذا ما حكي أن أبا جعفر لما ظفر بأبي مسلم وأمر أعوانه فضربوه بالسيوف صاح: وانفساه،

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٥.

ألا قوة، ألا مغيث[1]، وهو معنى قوله عز وجل: ﴿فما له من قوّةٍ ولا ناصر﴾.

قوله: ﴿والسّماءِ ذات الرَّجْع﴾ ﴿١١﴾ هذا قسم ثان، و﴿الرجع﴾ يحتمل أنه المطر، لأنّه يرجع عن السماء، ويحتمل أن ذلك [لرجوعها][2] لأنّها تبدّل يوم القيامة فيرجع بدلها مكانها، ويحتمل غير ذلك.

﴿والأرضِ ذاتِ الصدع﴾ ﴿١٢﴾ يعني الانفطار بزلازل الساعة ﴿وإذا الأرضُ مُدّتْ. وألْقَتْ ما فيها وتخلّتْ﴾[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّه لقولٌ فَصْلٌ. وما هو بالهَزْل﴾ ﴿١٣﴾، ﴿١٤﴾ الضمير في ﴿إنّه﴾ يحتمل رجوعه إلى القرآن من هذه السورة وغيرها، ويحتمل رجوعه إلى البعث المخبر به ها هنا. و(القول الفصل) القاطع الفاصل للشكّ، والمراد الجد، ولهذا قابله بنفي الهزل.

قوله عز وجل: ﴿إنّهم﴾ يعني الكفّار ﴿يكيدون كيداً. وأكيدُ كَيْدا﴾ ﴿١٥﴾، ﴿١٦﴾ يمكرون مكراً، وأمكر مكراً، نحو: ﴿ومكروا مَكراً ومَكَرْنا مَكْراً﴾[4] والكيد والمكر سيّان، وهو النكاية بأسباب خفيّة، وهو الاستدراج أيضاً، والمعنى: إن مكر الله يغلب مكرهم

---

(١) ينظر أخبار أبي مسلم الخراساني، وقصته مع أبي جعفر المنصور في سير أعلام النبلاء ٤٨/٦، وما بعدها. وينظر ص ٦٥، ٧٠.

(٢) تكملة من المحقق.

(٣) سورة الانشقاق: الآيتان ٢، ٣.

(٤) سورة النمل: الآية ٥٠.

﴿ويمكـرون ويمكرُ اللَّهُ واللَّهُ خيـرُ الماكـرين﴾[1]، ﴿وقـد مَكَـرُوا مَكْـرَهم وعنـدَ اللَّهِ مكـرُهـم وإن كـان مكـرُهم لتـزولَ منـه الجبال﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿**فَمَهِّلِ الكافرينَ أَمْهِلْهم رُوَيداً**﴾ ﴿١٧﴾ أي فسوف ينتقم الله عز وجل منهم، والإمهال: التأخير، مثل: ﴿ذَرْهم يـأكلوا ويتمتّعـوا﴾[3]، ﴿فَـذَرْهم في غمـرتهم حتى حين﴾[4] و ﴿رويداً﴾ صفة مصدر محذوف: أي أمهلهم إمهالاً رويداً: أي ليّناً سهلاً، ويحتمل أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول، أي أمهلهم مروِّداً لهم، أو مروَّدين: أي أمهلهم رافقاً بهم، أو مرفوقاً بهم، أو غير معنِّف بهم، أو غير معنَّفين، أو أَمْهِلْهم منتظراً لهم، أو منتظرين[5]، يشهد لـذلـك ﴿فـأعْـرِض عنهم وانتَـظِرْ إنّهم منتظرون﴾[6].

* * *

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤٦.

(٣) سورة الحجر: الآية ٥.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥٤.

(٥) القول الأول فقط في العكبري ٢/٢٨٥، والبحر ٨/٤٥٦، والدر المصون ٢١٢ ب.

(٦) سورة السجدة: الآية ٣٠.



# المَــراجع


* القرآن الكريم.
* إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - للدمياطي البنا - القاهرة: مطبعة عبدالحميد حنفي ١٣٥٩ هـ.
* إصلاح المنطق - لابن السكيت - تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون - القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٤٩ م.
* إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - لابن خالويه - القاهرة: دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ.
* إملاء ما مَنّ به الرحمٰن (التبيان) - للعكبري - مكة المكرمة: دار الباز ١٣٩٩ هـ.
* البحر المحيط - لأبي حيان - القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ.
* بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - للكاساني - القاهرة: شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٨ هـ.
* تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان - الأصل الألماني - ليدن: بريل ١٩٤٣ م.
* تفسير غريب القرآن - لابن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر - مصورة دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ هـ.
* تفسير القرآن الكريم (جامع البيان) - للطبري - القاهرة: مطبعة الحلبي ١٩٥٤ م.

* تفسير القرآن الكريم (الجامع لأحكام القرآن) ـ للقرطبي ـ القاهرة: دار الكاتب العربي ٩٦٧م.

* خزانة الأدب ـ للبغدادي ـ القاهرة: مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ.

* الخصائص ـ لابن جني ـ تحقيق محمد علي النجار ـ القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م.

* الدر المصون ـ للسمين الحلبي ـ (الجزء السادس) تحقيق د. أحمد خراط ـ دمشق: دار العلم ١٤٠٦ هـ. ونسخة مخطوطة ـ جامعة الإمام رقم ١٧٧٦.

* الدر المنثور ـ للسيوطي ـ القاهرة: المطبعة الميمنية ١٣١٤ هـ.

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ لابن حجر العسقلاني ـ تحقيق محمد سيد جاد الحقّ ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ.

* ديوان الأعشى ـ تحقيق د. محمد محمد حسين ـ بيروت: المكتب الشرقي ١٣٨٨ هـ.

* ديوان امرىء القيس ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٥٨ م.

* ديوان حسان بن ثابت ـ تحقيق سيد حنفي حسنين ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م.

* ديوان عبيد بن الأبرص ـ تحقيق د. حسين نصار ـ القاهرة: مطبعة الحلبي ١٩٥٧ م.

* ديوان العجّاج ـ تحقيق د. عزة حسن ـ بيروت: دار الشروق ١٩٧١ م.

* ديوان العرجي ـ تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ـ بغداد: الشركة الإسلامية ١٣٧٥ هـ.

* ديوان عنترة ـ تحقيق محمد سعيد مولوي ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٠ هـ.

* ديوان كعب بن مالك ـ تحقيق د. سامي مكي العاني ـ بغداد: مكتبة النهضة ١٩٦٦ م.

* ديوان لبيد ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ الكويت: وزارة الإعلام ١٩٦٢ م.

* الذيل على طبقات الحنابلة ـ لابن رجب ـ تحقيق محمد حامد الفقي ـ القاهرة: مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٢ م.

* السبعة ـ لابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقي ضيف ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٠ م.

* سنن الترمذي ـ تحقيق عزت الدعاس ـ حمص: دار الدعوة ١٣٨٥ هـ.

* سنن ابن ماجه ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة: مكتبة الحلبي ١٩٥٢ م.

* سير أعلام النبلاء، للذهبي ـ تحقيق مجموعة ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ وما بعدها.

* شرح شواهد الشافية ـ لابن الحاجب (الجزء الرابع من شرح الشافية) ـ تحقيق محمد نور الحسن وزميله ـ القاهرة: مطبعة حجازي ١٣٥٦ هـ.

* شرح شواهد المغني ـ للسيوطي ـ تحقيق أحمد ظافر كوجان ـ دمشق: لجنة التراث العربي ١٩٦٦ م.

* شرح مختصر الروضة ـ للطوفي ـ (المقدمة) تحقيق د. إبراهيم بن عبدالله آل إبراهيم ـ الرياض: ١٤٠٩ هـ.
وتحقيق د. عبدالله التركي ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٠ هـ.

* شرح المفصل ـ لابن يعيش ـ القاهرة: المطبعة المنيرية.

* الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة ـ تحقيق محمود شاكر ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٦٤ م.

* صحيح البخاري = فتح الباري.
* صحيح مسلم ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ القاهرة: مكتبة الحلبي.
* ضعيف الجامع الصغير للسيوطي ـ لمحمد ناصر الدين الألباني ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ.
* الطبري = تفسير القرآن الكريم.
* الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ بيروت: دار صادر.
* العكبري = إملاء ما منّ به الرحمٰن.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ لابن حجر ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ القاهرة: المكتبة السلفية.
* الفراء = معاني القرآن.
* فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ للمناوي ـ القاهرة: مطبعة مصطفى محمد ١٣٥٦ هـ.
* القاموس المحيط ـ للفيروزأبادي ـ القاهرة: المطبعة المصرية ١٩٣٥ م.
* القرطبي = تفسير القرآن الكريم.
* الكتاب ـ لسيبويه ـ القاهرة: بولاق ١٣١٦ هـ.
* كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ للعجلوني ـ حلب: دار التراث الإسلامي.
* الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ـ لمكي بن أبي طالب ـ تحقيق د. محيي الدين رمضان ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨١ م.
* المسند ـ للإمام أحمد ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٦٩ م.
* مشكل إعراب القرآن الكريم ـ لمكي بن أبي طالب ـ تحقيق ياسين السواس ـ دمشق: دار المأمون للتراث.
* المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي ـ د. مصطفى زيد ـ القاهر دار الفكر العربي ١٣٨٤ هـ ـ الطبعة الثانية.

* معاني القرآن ـ للفراء ـ تحقيق محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي ـ القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م.

* مغني اللبيب ـ لابن هشام ـ تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ـ دمشق: دار الفكر ١٩٦٩ م.

* مقاييس اللغة ـ لابن فارس ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ القاهرة: مطبعة الحلبي ١٣٩١ هـ.

* المقتضب ـ للمبرد ـ تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٦ هـ.

* النهاية ـ لابن الأثير ـ تحقيق د. محمد الطناحي، وطاهر الزاوي ـ القاهرة: مطبعة الحلبي ١٩٦٢ م.

* * *

# كشاف الكتاب

